ISSN 2735-4822 (Online) \ ISSN 2735-4814 (print)

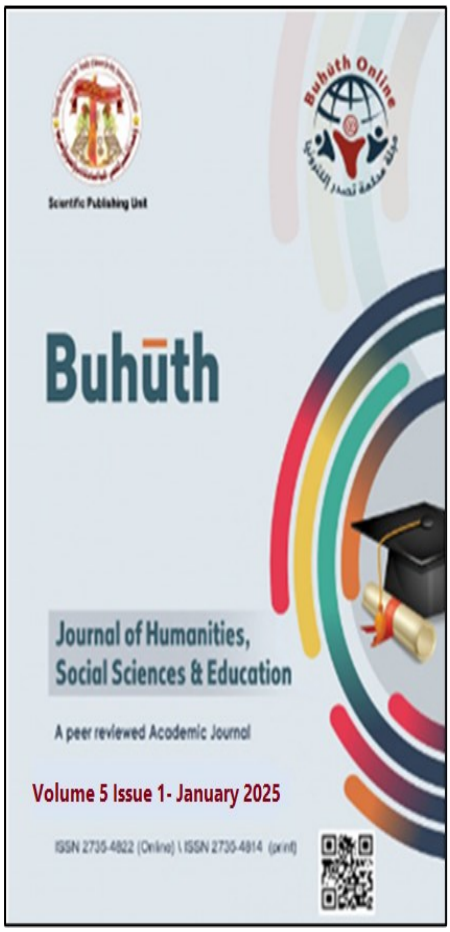

THE CRITICAL TREND IN BERNARD WILLIAMS' MORAL PHILOSOPHY

PhD. Hania Hamdy Youssef Khalil
Department of Philosophy, Faculty of Women for Arts, Science & Education, Ain Shams University, Egypt
hania.khalil@women.asu.edu.eg
Prof. Saad Abd El Aziz Habater (Deceased)
Professor of Modern and Contemporary Philosophy and Ethics, Departmen of Philosophy, Faculty of Women for Arts, Science & Education, Ain Shams University, Egypt
Prof. Samia Abdel Rahman Abdel Salam
Professor of Contemporary Philosophy and Philosophy of Values Department of Philosophy, Faculty Faculty of Women for Arts, Science & Education, Ain Shams University, Egypt
samia.abdelrhman@women.asu.edu.eg
Assistant.DR. Doaa Wagdy Faheem
Lecturer of Modern and Contemporary Philosophy, Faculty of Women for Arts, Science & Education, Ain Shams University, Egypt
doaa.wagdy@women.asu.edu.eg

Receive Date: 4 April 2024, Revise Date: 8 Mai 2024.
Accept Date: 11 Mai 2024.
DOI: 10.21608/BUHUTH.2024.281513.1666
Volume 5 Issue 1 (2025) Pp.334 -371.

Abstract

This study addresses the topic "The Critical trend in Bernard Williams' moral Philosophy", focusing on his critique of two major philosophical trends: utilitarianism and Kantianism. Recognized as a formidable opponent of both of them, Williams dedicated a significant portion of his writings to critiquing and attacking these doctrines, notably in his essay "Critique of Utilitarianism" and his book "Ethics and the Limits of Philosophy". This study aims to elucidate the reasons behind Williams' critique of utilitarianism, starting from its initial appeal as an ethical theory and issues such as negative responsibility, disregard for personal projects, and integrity, to his critique of both direct and indirect utilitarianism. It also seeks to clarify Williams' hostile stance towards Kantianism, critiquing its neglect of emotions and personal projects, its rigid adherence to duty and absolute commands, and its rejection of the concept of moral law based on pure reason. Thus, Williams aimed to expose the artificiality of this doctrine, concluding that ethical theories should be subject to lived experience, emotion, and sentiment. The research relies on a comparative critical analytical approach and recommends further exploration of Williams' philosophy of mind and political philosophy.

***Keywords*:** Utilitarianism, Consequentialism, Negative Responsibility, Personal Projects, Integrity, Practical Necessity.

الاتجاه النقدي فى فلسفة برنارد ويليامز الأخلاقية

هنيه حمدى يوسف خليل

باحثة دكتوراه- مدرس مساعد- قسم الفلسفة

كلية البنات للآداب والعلوم والتربية، جامعة عين شمس، مصر

hania.khalil@women.asu.edu.eg

أ.د/ سعد عبد العزيز حباتر(رحمه الله)

أستاذ الفلسفة الحديثة والمعاصرة وفلسفة الأخلاق

كلية البنات- جامعة عين شمس

أ. د/ سامية عبدالرحمن عبدالسلام

أستاذ الفلسفة المعاصرة وفلسفة القيم

كلية البنات – جامعة عين شمس

samia.abdelrhman@women.asu.edu.eg

د/ دعاء وجدى فهيم

مدرس الفلسفة الحديثة والمعاصرة

كلية البنات- جامعة عين شمس

doaa.wagdy@women.asu.edu.eg

المستخلص:

تتناول هذه الدراسة موضوعًا بعنوان " الاتجاه النقدي في فلسفة برنارد ويليامز الأخلاقية"، حيث تركِّز على نقد اتجاهين من أكبر الاتجاهات الفلسفية، وهما الاتجاه النفعى أولاً، والمذهب الكانطي ثانيًا، وذلك باعتبار أن ويليامز يُعد من أكبر أعداء المذهب النفعي والمذهب الكانطي، حيث خصص جزءًا كبيرًا من مؤلفاته لنقدهما والهجوم عليهما، وكان على رأس هذه المؤلفات مقاله " نقد النفعية"، وكتابه "الأخلاق وحدود الفلسفة". تهدف هذه الدراسة إلى توضيح الأسباب التى دفعت ويليامز لانتقاد النفعية، بدءًا من عوامل جذب النفعية كنظرية أخلاقية، والمسئولية السلبية، وإهمال المشاريع الشخصية، والنزاهة....إلخ، وانتهاءً بنقد ويليامز للنفعية المباشرة وغير المباشرة. كما تهدف أيضًا إلى توضيح موقف ويليامز العدائي من المذهب الكانطي، وذلك لإغفاله دور العواطف والمشاريع الشخصية، كما رفض تشدد الكانطية وتمسكها بمبدأ الواجب والأمر المُطلق، ورفض أيضًا فكرة القانون والإلزام الأخلاقي؛ لأنها تقوم على تصورات العقل الخالص، وبذلك حاول ويليامز أن يخفف من صورية هذا المذهب، وانتهى إلى أن النظريات الأخلاقية يجب أن تخضع للتجربة المعيشة والعاطفة والشعور. وقد اعتمد هذا البحث على المنهج التحليلى النقدي المقارن، كما يُوصى بضرورة إلقاء الضوء على فلسفة العقل والفلسفة السياسية عند برنارد ويليامز.

الكلمات المفتاحية: النفعية، العواقبية، المسئولية السلبية، المشاريع الشخصية، النزاهة، الضرورة العملية.

مقدمة

يُعد الفيلسوف الإنجليزى برنارد آرثر أوين ويليامز Bernard Arthur Owen (1929-2003) Williams من أهم الفلاسفة المعاصرين فى القرن العشرين. وذلك لما يحظَ به من مكانةٍ علميةٍ كبيرةٍ مكنته من تولي العديد من المناصب المهنية والسياسية، والتى كان لها الأثر الفعَّال على المجتمع وعلى الساحة الفلسفية.

فقد عُرف ويليامز باهتماماته الفلسفية المتعددة، ولكنه عُرف فى المقام الأول بأنه فيلسوف أخلاقىّ، وذلك بنقده المنصوص عليه فى العديد من مؤلفاته، ولاسيما فى مؤلفه "الأخلاق وحدود الفلسفة" الذى يُعتبر ملخص لمعظم أفكاره، ومقاله "نقد النفعية" التي سعى فيها إلى هدم المذهب النفعي بكل قوته.

تكمن أهمية ويليامز الفلسفية في أن فلسفته في جوهرها قائمة على نقد المذاهب السابقة والمعاصرة له، والتي احتلت مكانةً كبيرةً في الأوساط الفلسفية حتى الآن، وذلك لأن هذه المذاهب تحتوي على العديد من أوجه القصور، وكان على رأس هذه المذاهب المذهب النفعي الذي سعى ويليامز إلى نقده عند العديد من الفلاسفة النفعيين، وانصبَّ هذا النقد على قضايا جديدة غير مألوفة مثل المسئولية السلبية، وإهمال المشاريع الشخصية للأفراد، وتجاهل قيمة النزاهة، وقضية الانغماس الذاتي الأخلاقي...

ثم اتجه بعد ذلك إلى نقد المذهب الأخلاقى الكانطى بعد نقده للمذهب النفعي، حيث طبق بعض أفكاره النقدية التى استخدمها في نقد المذهب النفعي على الأخلاق الكانطية، بالإضافة إلى رفضه تشدد الأخلاق الكانطية، حيث يرى ويليامز أن كانط لم يكن لديه المقدرة على فهم دور العواطف واعتبارها أنها غير عقلانية...الخ. وبناءً على ذلك عُرف ويليامز بعدائه للمذهب النفعي والكانطي في الأوساط الفلسفية.

مشكلة الدراسة:

تكمن مشكلة الدراسة في توضيح الاتجاه النقدي في فلسفة ويليامز الأخلاقية القائمة على النقد، والتي انصبت بدورها على نقد بعض المذاهب الفلسفية الشامخة والثابتة بجذورها في الأساط الفلسفية منذ القدم وصولاً إلى الفكر المعاصر، وكان على رأس هذه المذاهب، المذهب النفعي، وفلسفة كانط الأخلاقية.

تساؤلات الدراسة:

1-ما هي جذور المذهب النفعي في الفكر الفلسفي؟

2-هل وضع ويليامز تعريفًا جامعًا للنفعية؟

3-هل رفض ويليامز المذهب النفعي برمته؟.

4-ما الأسباب التى دعت ويليامز لاتخاذ الموقف العدائي من المذهب النفعي؟

5-هل استطاعت النفعية تقديم نظرية أخلاقية من وجهة نظر ويليامز؟

6-ما المقصود بالنفعية المباشرة و النفعية غير المباشرة عند ويليامز؟ وما الفرق بينهما؟

7-ما هي الأسباب التي دعت ويليامز لنقد وتفنيد الأخلاق الكانطية؟

8-هل ما قاله ويليامز عن النفعية ينطبق على فلسفة كانط؟.

9-ما الجديد الذي قدمه ويليامز من خلال نقده للأخلاق النفعية والأخلاق الكانطية؟

أهداف الدراسة:

تهدف هذه الدراسة إلى:

1- إبراز وتوضيح فلسفة ويليامز الأخلاقية القائمة على النقد.

2- توضيح معنى النفعية عند ويليامز.

3- إلقاء الضوء على الموقف العدائي لويليامز ضد الأخلاق النفعية والأخلاق الكانطية.

منهج الدراسة:

اقتضت طبيعة الدراسة استخدام عدة مناهج هي:

1- المنهج التاريخي: والذى استخدمته الباحثة فى تتبع الجذور التاريخية لبعض الأفكار التى جاءت بها الدراسة عبر المصادر والكتب التي سبق تناولها من قبل.

2- المنهج التحليلي: تم استخدامه لتحليل أراء وفلسفة ويليامز بصورةٍ واضحةٍ وبسيطة بغرض فهمها وتوضيحها من المصادر الأصلية للفيلسوف.

3- المنهج النقدي: الفلسفة تبدأ بالنقد أولاً ، ولذلك تمَّ استخدام المنهج النقدي فى نقد ويليامز للسابقين عليه ونقد فلسفته أيضًا كلما تطلب الأمر.

4- المنهج المقارن: تم استخدامه فى مقارنه أفكار ويليامز بغيره من الفلاسفة الذين سبقوه أو عاصروه.

محتويات الدراسة:

تكونت هذه الدراسة من مقدمةٍ، ومبحثين، وخاتمة، بالإضافة إلى قائمة المصادر والمراجع. وذلك على النحو التالي:

المقدمة: عرضت فيها الباحثة إشكالية الدراسة، وأهم التساؤلات التى جاءت بها الدراسة، أهداف الدراسة، منهج الدراسة، محتويات الدراسة.

المبحث الأول: موقف برنارد ويليامز النقدي من المذهب النفعي.

عرضت الباحثة في هذا المبحث الجذور التاريخية للمذهب النفعي بصورةٍ مختصرةٍ، ثم انتقلت بعد ذلك إلى عرض وجهة نظر ويليامز عن الأخلاق النفعية، حيث تناولت تعريف النفعية عند ويليامز، ثم نقد ويليامز للمذهب النفعي من المصادر الأصلية حسب التدرج الفكرى لويليامز في هذه المصادر، كما تناولت فيه الباحثة جميع القضايا التى جاءت في هذه المصادر بداية من عوامل جذب النفعية كنظرية أخلاقية، وقضية المسئولية السلبية، وإهمال النفعية للمشاريع الشخصية، وقيمة النزاهة وصولاً إلى قضية الانغماس الذاتي الأخلاقى والتي تُعد أخر قضية نقد للنفعية عند ويليامز، بالإضافة إلى نقد النفعية غير المباشرة والمقارنة بينها وبين النفعية المباشرة.

المبحث الثانى: موقف برنارد ويليامز النقدي من الأخلاق الكانطية

عرضت الباحثة في هذا المبحث نبذه مختصرة عن فكر كانط الأخلاقي، ثم انتقلت بعد ذلك إلى توضيح الأسباب التى دعت ويليامز إلى نقد المذهب الأخلاقي الكانطي، حيث عرضت فيه الباحثة كل أوجه القضايا التى تناولها ويليامز في هذا الصدد. وقد اعتمدت الباحثة في هذا المبحث على المصدر الرئيسى لكانط، وهو "تأسيس ميتافيزيقا الأخلاق" بالإضافة إلى المصادر الرئيسة لويليامز.

الخاتمة: تضمنت أهم النتائج التي توصلت إليها الدراسة، بالإضافة إلى قائمة المصادر والمراجع التي أفادت منها الباحثة.

المبحث الأول: موقف برنارد ويليامز النقدي من المذهب النفعي

أولاً: جذور المذهب النفعي فى الفكر الفلسفي.

تمثَّلت فكرة النفعية قديمًا عند جماعة من السوفسطائين وعلى رأسهم بروتاجوراس480 ق.م، الذي يُعد أول من طبَّق هذا المبدأ قديمًا عندما ذهب إلى أن الإنسان مقياس كل شيء، فهو مقياس الحق والباطل في المعرفة ومقياس الخير والشر في الأخلاق، ولذلك كانت الحقيقة عنده جزئية نسبية متغيرة، وليس هناك قانونًا أخلاقيًا عامًا يخضع له الناس جميعًا، وإنما المسألة ترجع إلى إحساس الشخص نفسه. (عبدالرحمن، 2008، صفحة 13).

ثم يجيء أرستبوس 366ق.م زعيم المدرسة القورينائية بعد بروتاجوراس، ويتصل بالسوفسطائين قبل أن يتتلمذ على يد سقراط، ومن ثم يتأثر بنظريتهم في الأخلاق والدين معًا، فاللذة عنده هي الخير الأقصى، وهي غاية الحياة الإنسانية، ومعيار القيم، ومقياس الأحكام الخلقية (الطويل، 1953، صفحة 44).

ويتفق أبيقور341ق.م، مؤسس المدرسة الأبيقورية مع أرستبوس في أن اللذة هي الخير الأسمى، وأن الألم هو الشر الأقصى، ولكن أبيقور تمشيًا مع مذهبه المادي في تفسير الوجود أقرَّ اللذة الحسية، وصرح بأن الإنسان كالحيوان من حيث أنه ينشد اللذة منساقًا بفطرته دون تدخل من عقله أو ثقافته، وما يستطيع العقل أن يتصور خيرًا إلا وكان مقترنًا على الدوام بعنصرٍ حسي، فالإنسان يلتمس اللذة بطبيعته، ويسخر العقل لتهيئة الوسائل لتحقيقها، وكل لذة خير ما لم تقترن بألم فتصبح من أجل ذلك شرًا، أو وسيلة سيئة للسعادة، وإذا نتج عن الألم لذة وجب طلبه، وبهذا استحال مذهب اللذة إلى مذهب في المنفعة، يرى المثل الأعلى في طلب أكبر قسطٍ من اللذات والمنافع. وهكذا أصبح الإنسان لا يرفض لذة إلا من أجل نتائجها الأليمة، ولا يختار ألمًا إلا متى كان وسيلة لتحقيق لذة أعظم (الطويل، 1953، الصفحات 50-51).

تتمثل النفعية فى القرن السابع عشر عند "توماس هوبز" فيلسوف الأنانية، إذ أنه يرد الأفعال الأخلاقية إلى حب الذات ويرى أن كل صور الغيرية ما هي إلا أنانية مقنعة، وهو صاحب مذهب المنفعة الفردية الذي يرى أن الفعل الخلقي هو ذلك الفعل الذي يحقق لصاحبة أكبر قدر من اللذة أو المنفعة، ومن هنا ارتبط مفهوم المنفعة بمفهوم اللذة أو السعادة عند الكثير من الفلاسفة، ومن أصحاب هذا الاتجاه من تطلع إلى تحقيق اللذة أو المنفعة الفردية وخاصة اللذة الحسية العاجلة، كما ذهبت القورينائية والأبيقورية قديمًا، وهذه كلها تُعد منفعة فردية شخصية كما جاءت عند هوبز، وهؤلاء جميعًا أُطلق عليهم أصحاب مذهب اللذة الفردي أو الأناني Individualistic (Egoistic) Hedonism (الطويل، 1953، الصفحات 67-70).

ومما هو جدير بالذكر أن الفلسفة العملية- السائدة اليوم في أمريكا- التي لاتريد أن تعترف بحقيقة في ذاتها مستقلة عن الإنسان، بل الحقيقة هي ما يكون نافعًا في الحياة العملية- هذه قريبة الشبه جدًا من التعاليم السوفسطائية، والفرق بينها وبين سوفسطائية بروتاجوراس هو فرق نفعي في معنى" الإنسان". فكان بروتاجوراس يعنى به الفرد بينما مذهب البراجماتية أو الفلسفة العملية يريد به الإنسانية كلها.

ولما كان ما ينفع الإنسان اليوم قد يغيره غدًا، وما ينفع هذه الأمة قد يضر أمةً أخرى، فليس هناك حقيقة مطلقة ثابته خالدة. ولا ريب في أن موضع الخطأ عند بروتاجوراس قديمًا وفي مذهب البراجماتية حديثًا هو الاعتماد على حواس الإنسان (مع أنها خاصة به) وتجاهل الجانب العقلي منه (مع أنه العنصر الذى يشترك فيه أفراد البشر جميعًا).(عبدالرحمن،1986، ص22).

إلا أن هذه المنفعة قد اتسع نطاقها بعد ذلك، ومن ثم تحولت عند بنتام وجيمس وجون ستيورات مل إلى مذهب في المنفعة العامة إذ أكد هؤلاء الفلاسفة أن الفعل الأخلاقي هو ذلك الذي يحقق أكبر قدرٍ من المنفعة أو اللذة لأكبر عدد من الناس، كما يتفق "مل" مع أستاذه "بنتام" وغيره من فلاسفة السعادة في القول بأن الفارق بين الخير والشر رهن بنتائج أفعالنا، وأنه يتوقف بالتالي على مدى قدرة تلك النتائج على إشباع رغباتنا، بحيث تحقق لنا وللآخرين ما تهدف إليه من سعادة (الطويل، 1967، الصفحات 198-200).

هكذا يتضح مما سبق كيف أن أصحاب مذهب المنفعة الفردية والعامة قد وحدوا بين الخير واللذة بدءًا من السوفسطائين وحتى المحدثين وعلى رأسهم بنتام ومل.

وبالرغم من قوة المذهب النفعي وثبات جذوره منذ القدم وسيطرته على الساحة الفلسفية في الفكر الحديث وحتى الوقت المعاصر، إلا أن ويليامز لم يهتم بكل ذلك، وقام بنقد المذهب النفعي والهجوم عليه، ولاسيما في الأخلاق النفعية واتهامها بكثيرٍ من القصور، حيث اتجه ويليامز إلى الاستعانة بكثيرٍ من الأمثلة والافتراضات؛ لتوضيح أفكاره حتى يبرز المعنى الذي يقصده، وحتى يسهل وصول أفكاره لكل الجمهور من المهتمين بالبحث في الأخلاق أو الفلسفة بصفة عامة .

ثانياً: معنى النفعية عند برنارد ويليامز *

تعددت تعريفات النفعية كلًا حسب رؤيته لها، لكن تعريفها بشكلٍ عام كما جاء في الموسوعة الفلسفية الأجنبية يعنى **" المذهب الذى ينص على أن صحة أو خطأ أي فعل يتم تحديده من قبل عواقب الفعل**

---

* - **برنارد ويليامز:** (2003-1929) ولد الفيلسوف الإنجليزى برنارد آرثر أوين ويليامز Bernard Arthur Owen Williamsفي 21 سبتمبر عام 1929 فى ويستكلف، اسيكس بانجلترا. تلقى ويليامز تعليمه في مدرسة تشجويل، وكلية باليول بأكسفورد. وأثناء تواجده فى كلية باليول حصل على منحة دراسية قرأ خلالها جريتس Greats (وهى درجة فريدة من نوعها تبدأ مع هوميروس Homer وفيرجيل Vergil وتختتم بثيوسيديس Thucydides وتاكتيتوس Tacitus). أي أنها تعتبر بمثابة برنامج تعليمى متخصص في الكلاسيكيات اليونانية والرومانية القديمة. وهذا مكنه من الكتابة في كلاسيكيات اليونان وخاصة أفلاطون وأرسطو، والفكر اليونانى الأخلاقى، وجعله واحداً من الفلاسفة الأكثر شيوعاً وتعدداً للاتجاهات في عصره. لذلك قدم ويليامز العديد من الاسهامات فى كثير من المجالات، لكنه عرف فى المقام الأول بأنه فيلسوف أخلاقى،كما عرف دوليًا بسبب محاولاته في إعادة توجيه دراسة الفلسفة الأخلاقية للتاريخ والثقافة والسياسة وعلم النفس بوصفه فيلسوفاً تحليلياً بروح إنسانية، لكنه سرعان ما تخلى عن تعاليم تلك المدرسة، حيث رأى نفسه كفيلسوف تركيبي، مازجًا الأفكار من مجالات متشتتة بدت متباعدة عن بعضها البعض أكثر وأكثر. وصفته مجله التايمز بأنه "أعظم فيلسوف أخلاقى فى جيله". له العديد من المؤلفات منها. الأخلاقية: مدخل إلى الأخلاق Morality An Introduction to Ethics(1972)، مشكلات الذات 1973، مقال نقد النفعية 1973، النفعية مع وضد بالاشتراك مع سمارت 1973،الحظ الأخلاقى 1981، الفحش والرقابة على الأفلام 1981، كتاب الأخلاق وحدود الفلسفة 1985،الخجل والضرورة1993، الحقيقة والصدق،2002...الخ من المؤلفات.

راجع :

CP/ Simon Blackburn, (2007), Bernard Arthur Own Williams1929-2003, British Academy, p.33.

CP/ Stanford Encyclopedia of philosophy,(2006),Bernard Williams, 1 Feb, p.1 تاريخ الدخول(2019/7/23)

Robert Audi, (1995) The Camberidge Dictionary of Philosophy, Secand Edition, Cambridge University Press, p.975.

نفسه سواء خيرًا أو شرًا". فالمنفعة في صورتها العامة تنص على أن الفعل يعتبر أخلاقيًا، أو جيدًا عندما ينتج عنه أكبر قدر من الخير لأكبر عددٍ من الناس(Borchert, 2006, p.603 **).**

أما بالنسبة لتعريفها عند ويليامز فقد أشار فى بداية مقاله" نقد النفعية" A critique of utilitarianism * إلى أنه سوف يستخدم بعض المصطلحات غير الشائعة والتي لا يستخدمها الكثير، ومن هذه المصطلحات مصطلح العواقبية(consequentialism) الذي أطلقه على النفعية (utilitarianism)؛ لذلك وضع ويليامز أكثر من تعريفٍ للنفعية أو العواقبية على النحو التالى:

- يقول ويليامز" **أن النفعية نوع من العواقبية التى تهتم بشكلٍ خاص بالسعادة، فهناك بعض المظاهر غير المقبولة للنفعية وبعضها ما سوف أهتم به على وجه الخصوص، ينبغى إرجاعها إلى طابعها العام كشكلٍ من أشكال العواقبية"(**Smart & Williams,1973, p.79.**).**

يعرف ويليامز العواقبية (النفعية)أيضًا قائلًا " **إن العواقبية هى المبدأ القائل بأن القيمة الأخلاقية لأي فعل تكمن فى نتائجه، وبالتالي فإن السمة المرغوبة من الأفعال هي أن تزيد وتعظم سعادة الناس"** (Smart & Williams,1973, p.79.**).** ومن بين المصطلحات الخاصة التى تناولها ويليامز بشكلٍ مختلفٍ أيضًاهو مصطلح اللذة أو المتعة الذي أطلق عليه بطريقة مشابهة لما يستخدمه خبراء الاقتصاد، وهو مصطلح زيادة أو انخفاض المنفعة للناس، كما ينبه أيضًا إلى أن الحديث عن السعادة أو المنفعة هو الحديث عن رغبات الناس أو تفضيلاتهم والحصول على ما يريدون أو يفضلون، بدلاً من الشعور بالمتعة أو السعادة (Smart & Williams, p. 80).

كما يعرف ويليامز النفعية أيضًا كما جاءت فى كتابه" الأخلاق وحدود الفلسفة" **"بأنها أكثر النظريات الأخلاقية الموجودة طموحًا"(**Williams,1985, p.92 **)، كما أنها تأخذ حقائق الرفاهية الفردية باعتبارها الموضوع الأساسي للفكر الأخلاقي "(** Williams,1985, p.75 **) معتبرة فكرة إنتاج أفضل حالة ممكنة أمرًا أساسيًا من حيث سعادة الناس أو من حيث حصولهم على ما يريدون أو يفضلون.** (Williams, 1985, p.16).

ثالثاً: نقد وتفنيد برنارد ويليامز للنفعية بوجة عام

ترى الباحثة أن هناك عدة أمور مهمة لابد أن تنوه عليها فى بداية عرضها لآراء ويليامز حول النفعية منها:

أ-عندما نتتبع وجهات نظر ويليامز وأرآءه حول النفعية نجد أنه كتب هذه الآراء على فتراتٍ ومراحل مختلفة، ولم يكتبها مرةً واحدةً، وفي كل مرحلة يعبر عنها بطريقة مختلفة، فنجده تناولها أولاً فى كتابه

*-لابد أن ننوه إلى أن مقال نقد النفعية الخاص بالفيلسوف ويليامز قد أعيد طبعه عدة مرات، وقد تم وضعه أخيراً مع مقال سمارت وأطلق عليه كتاب " "النفعية مع وضد". فكما هو واضح من العنوان فإن الكتاب ينقسم إلى شقين أحدهما مع النفعية متمثلاً فى J.J.C.Smart الذى يدافع عن النفعية، والأخر ضد النفعية وهو عبارة عن نقد وهجوم على النفعية متمثلاً فى ويليامز. وقد أشار ويليامز فى بداية مقاله إلى أنه لم يصمم هذا المقال للرد على سمارت رغم علمه بكتابه الذى نشره وتبنى فيه وجهة نظر نفعية بحتة. لكن هذا المقال نقد للنفعية بصفة عامة ولم يتناول فيه الرد على حجج سمارت نقطة نقطة. ولكنه أشار لبعضها فقط والتى اشترك فيها مع النفعيين بصفة عامة، وتوضيح بعض الغموض فى دفاع سمارت عن النفعية الفعلية، ضد أنواع أخرى وسبب هذا هو صعوبة الموضوع بأكمله.. كما أن هناك شعوراً داخلياً دفعه إلى كتابه هذا المقال. كما يشير ويليامز إلى أنه لم يقدم سرداً لجميع المسائل الهامة التى جاءت فى كثير من المؤلفات التى تناولت النفعية. لكنه تابع الأسئلة التى بدت له أكثر أهمية، وأغفل عن قصد الأمور التى كثيراً ما نوقشت.
أنظر :(CP/ Smart & Williams, 1973, p.76)

"الأخلاقية: مقدمة في الأخلاق" في الصفحات الأخيرة من الكتاب عام 1972، ثم تناولها أيضًا في مقاله "نقد النفعية" الذي نُشر عام 1973، ثم تناولها بعد ذلك في مقاله "الانغماس الأخلاقي في الذات" الذي نشره في كتابه "الحظ الأخلاقي" عام 1980 ثم في كتابه "الأخلاق وحدود الفلسفة" الذى نُشر عام 1985، والعجيب أننا عند تناولنا لهذه الآراء نجد أن كلًا منها يكمل الآخر رغم تباعد الفترات بينها كما سبق، وفي كل مرةٍ نجده يعرض أفكاره بطريقةٍ شيقةٍ ،وجذابةٍ، ومنظمةٍ تجعلك متشوق للبحث والتعمق في كل كتاباته، رغم ما بها من غموض.

ب- لابد أن ننوه أن هناك أفكارًا تتحدث عن النفعية بصفةٍ عامة، وقد تشترك فيها مع النفعية المباشرة وغير المباشرة*.

ج- سوف نبدأ في عرض أفكار ويليامز عن النفعية حسب التدرج الفكرى في عرض كتبه وأيضًا حسب فهمنا نحن له، ولكن دون حدوث أي خللٍ في المعنى الأصلي.

د- أن ويليامز لم يقتصر على الهجوم على النفعية فقط، ولكنه كان يعرض أفكاره في ثنايا الكلام، أي أنه يعرض أفكاره من خلال النقد، ولقد استعان ويليامز بالكثير من الأمثلة التى تُعبر عن وجهات نظره، التي يعرض من خلالها ما يريد إيصاله من أفكارٍ وآراء؛حتى يسهل وصولها للجمهور.

والآن بعد أن انتهينا من توضيح بعض الأمور المهمة، ننتقل إلى الأسباب التي دفعت ويليامز إلى انتقاد النفعية من خلال كتبه ومقالاته الأصلية.

(1)- عوامل جذب النفعية كنظرية أخلاقية

طرح ويليامز فى كتابه (الأخلاقية: مدخل إلى الأخلاق) سؤالًا: **ما الهدف من النظرية النفعية للأخلاق؟.** يرى ويليامز أن إجابة هذا السؤال لا يمكن اكتشافها فقط من خلال مناقشة أفكار "بنتام ومل " والأُسس الكلاسيكية الأخرى، ولكن من خلال النظر في جاذبية النظرة النفعية للفكر الأخلاقي، لذا يرى ويليامز أن هناك أربعة عوامل جذبٍ مفترضة للنفعية كنظرية أخلاقية وهي:

1-أنها غير متعالية، ولا تثير أي اهتمام خارج نطاق الحياة البشرية، ولاسيما الاعتبارات الدينية.

2-يعتبر المذهب النفعي السعادة هي الخير الأقصى، فبغض النظر عن اختلاف الناس، فمن المؤكد أنهم جميعًا على الأقل يريدون أن يكونوا سعداء، ويجب أن يكون السعي لتحقيق أكبر قدر ممكن من السعادة هدفًا معقولاً.

3-أن القضايا الأخلاقية يمكن تحديدها من حيث المبدأ، من خلال الحساب التجريبي للنتائج، وبالتالى يصبح الفكر الأخلاقي تجريبيًا.

4- النفعية توفر عاملًا مشتركًا للفكر الأخلاقي: الاهتمامات المختلفة للأحزاب المختلفة، وأنواع أخرى من الادعاءات التي تعمل على طرفٍ واحدٍ (من حيث المبدأ) وهو السعادة(williams, 1972, pp. 82-85).

نأتي لمناقشة هذه العوامل بطريقةٍ مستفيضة من وجهة نظر ويليامز:

بالنسبة لعامل الجذب الأول، والذي يفلت من انتقاد ويليامز اللاذع، فإن الأخلاق النفعية أخلاق دنيوية فقط أي بشرية خالصة بمعنى أنها لا تؤسس على أي اعتبار ميتافيزيقي أو ديني.

*- سوف اتناول كل ما يتعلق بالنفعية المباشرة وغير المباشرة، والفرق بينهما فى موضعه حتى لا يحدث نوعًا من التكرار.

أما عامل الجذب الثاني: يحدد هدف النفعية، وهو تحقيق أكبر قدرٍ ممكنٍ من السعادة وهو هدف معقول. لكن هناك مشكلة صعبة في هذه النقطة بشأن التحول من هدفٍ يفترض أنه غير قابل للجدل بالسعي إلى تحقيق سعادة المرء، إلى هدفٍ أكثر جدلاً بالسعي إلى تحقيق سعادة الآخرين، ولقد تعرض بنتام إلى هجومٍ ونقدٍ شديدين من قبل المنتقدين؛ لأنه حاول تحقيق هذا التحول من خلال أفكاره بالرغم من إصرار ويليامز على أن المذهب النفعي ينطوي على صعوباتٍ فنيةٍ خطيرةٍ، بالإضافة إلى مشاكل مفاهيمية عميقة(williams, 1972, pp. 83-84) .

مما سبق يمكن القول بالنسبة لعامل الجذب الثاني: فإن ويليامز ينتقد مبدأ المنفعة، وهو تحقيق السعادة باعتبارها الخير الأقصى عند النفعيين، ولاسيما " بنتام ومل" رغم اختلاف كلٍ منهما في التعبير عنها بطريقته الخاصة، حيث ينتقد ويليامز الفيلسوف بنتام في وصفه السعادة بأنها المتعة وغياب الألم، وأنها لم تستطع أن تستوفي كل الشروط؛ وذلك لأنها جعلت للفرد الأولوية على الجميع، وبالتالي فشلت في أن تكون موضوعية (williams, 1972, pp. 83-84) .

كما ينتقد ويليامز أيضًا نفعية "مل "، رغم أنه جعل مفهوم السعادة سخيًا ليشمل الجميع، حيث يرى "مل" "إن السعادة التى تُمثل المقياس النفعي فيما يتعلق بالسلوك ليست متمثلة في السعادة الخاصة للفاعل، بل هى متعلقة بسعادة الجميع" (مل،2012، صفحة،52) فالسعادة عنده ليست السعادة الشخصية للفاعل بل هى سعادة كل من يعنيهم الأمر، وقد ربط "مل" السعادة بواقع الأفراد الذين يسعون للحصول عليها، وبالتالي فهي تختلف باختلاف هؤلاء الأفراد وأفكارهم تجاه السعادة وتحصيلهم لها حيث يقول: " إن عناصر السعادة ليست مجرد فكرة مجردة، وإنما هي كل عيني،...إن عناصر السعادة متنوعة جدًا" (مل،1996، صفحة21).

إذن بصرف النظر عن كون "مل " جعل مفهوم السعادة شاملاً، لكن ويليامز يرى أن هناك صعوبة في كون كثير من الأشياء التي يشملها الناس بالفعل في مضمون الحياة السعيدة هي أشياء تنطوي أساسًا على قيم أخرى، مثل النزاهة، على سبيل المثال، أو العفوية، أو الحرية، أو الحب، أو التعبير عن الذات... الخ.

. (Williams, 1972, p.87)

بالنسبة لعامل الجذب الثالث: فإن ويليامز ينتقد الحساب التجريبي للنتائج فى المذهب النفعى؛لأن ذلك يترتب عليه تحديد القيمة المعنية كميًا، وهو ما يرفضه ويليامز؛ لأن القيمة الكمية لا تكفي أن تكون معيارًا لقياس القيم، وذلك لأن هناك بعض القيم التى لا يمكن أن تخضع للقياس الكمي، مثل المساعدة فى إعادة بناء جزء قديم في المدينة، وأيضًا مثل قيمة المساعدة لتوفير الراحة للمرضى في سن الشيخوخة، وأيضًا قيمة المحافظة على كرامة شخصٍ ما...إلخ (Williams, 1972, p.,89.).

عامل الجذب الرابع: قد يزعم النفعيون أنهم ليسوا ملتزمين بوجهة النظر القائلة بأن العامل المشترك المتمثل في السعادة هو المال لكنهم ملتزمون بشيءٍ في الواقع له تلك الآثار بحيث لا توجد في نهاية المطاف قيم غير قابلة للقياس؛ لأن مذهب المنفعة (على سبيل المثال) ليس من المستغرب أن يشكل نظام القيم في مجتمع تكون فيه القيم الاقتصادية هي العليا، وأيضا على المستوى النظري؛ لأن القياس الكمي في المال هو الشكل الوحيد الواضح لما تصر عليه النفعية يوازي تلك القيمة (Williams, 1972, p. 89.).

يقول ويليامز **"عند مناقشة النفعية، فإننا نناقش شيئًا يمكن التعرف عليه في كثير من الأحيان. لذا فلنسلم بأننا في بعض الحالات، على الأقل، نعرف ما المقصود بالعمل على تحديد أي مسار من شأنه أن يؤدي إلى أعظم قدرٍ من السعادة على الإطلاق. صحيح أننا نواجه الآن صعوبتين جديدتين. الأولى هى**

أن عملية حل مثل هذه النتائج هي في حد ذاتها نشاط، والذي يمتلك في حد ذاته في ظروف مختلفة درجات مختلفة من المنفعة، وبهذا يجب أن يذهب إلى المجموع. والثانية هو أن الإجابة التي يتم التوصل إليها عن طريق الحساب النفعي لحالة معينة تبدو في حالات معينة الإجابة الخاطئة من الناحية الأخلاقية؛ لأن هناك بعض القيم الأخلاقية التي لا تخضع للقياس الكمي التجريبي"(Williams, 1972, p. 89-90.).

ويتابع ويليامز أن هناك نوعًا من النفعية، يسمى" نفعية -القاعدة" أو (النفعية الغير مباشرة) التي تهدف إلى حل هذه الصعوبات في وقتٍ واحدٍ من خلال أداةٍ واحدةٍ، أو قاعدةٍ ما-89 .Williams,1972, pp) (90.

وهنا يميز ويليامز بين النفعية الفعلية (المباشرة) التى تهتم بالنتائج ونفعية القواعد (النفعية غير المباشرة) والتى تعني القيمة التبعية التى تهم الأخلاق مرتبطة مباشرة بإجراءات معينة، بدلاً من القواعد أو الممارسات التي بموجها اتخاذ القرارات دون الرجوع إلى النتائج (Smart & Williams, 1973, p.81).

ويستطرد ويليامز في حديثه بأن هذا النوع من النفعية يترتب عليه بعض العقبات، مما يترتب عليه بأن عوامل جذب النفعية كنظرية أخلاقية يندرج تحتها الكثير من المشكلات أيضًا ومنها:

المشكلة الأولى: هي أن أي حساب نفعي فعلي تكون نتائجه غير موثوقةٍ، وعلاوة على ذلك، فإن عملية الحساب نفسها تستغرق وقتًا، وهناك سمات نفسية قد تعوق في الواقع أمورًا مرغوبة نفعيًا، مثل اتخاذ إجراء حاسم...؛ ولذلك فإن اعتماد هذه القواعد هو الذي يُقيَّم بالتماس مبدأ أعظم سعادة، وليس باختيار إجراءات معينة.

المشكلة الثانية: من السهل بناء قضايا -على سبيل المثال عندما تكون إدانة رجل بريء ضرورية وكافية لتجنب أضرار كبيرة -تبدو فيها النتيجة النفعية متعارضةً مع ما يعتبره الكثيرون الإجابة الصحيحة أخلاقيًا: كما في حالة العدالة في هذه الحالة، نجد أن الوعد والتعبير عن الحقيقة يطرحان صعوبات في إطار التفسير النفعي الفعلي، ومن المأمول فيه أن تتمكن نفعية القاعدة (النفعية غير المباشرة) من تذليل هذه الصعوبات عن طريق الادعاء بأن كل ما يتعين إثباته هو أن قواعد، أو ممارسات العدالة، أو الوفاء بالوعد، أو قول الحقيقة لها فائدة إيجابية على البدائل(Williams, 1972, pp. 90-91).

في الواقع، يعتقد ويليامز أن مذهب النفعية هو حليفٌ أساسي غير مستقر، ويتأرجح بسبب عدم الاتساق، على الأقل فيما يلي: إذا وجدت نتائج مخالفة القاعدة أفضل من عواقب الاحتفاظ بها، فمن المؤكد أنه لا توجد اعتبارات حول عدم دقة هذا المقياس النفعي ...ويترتب على ذلك مهما كانت الفائدة العامة من وجود قاعدة معينة، إذا كان المرء قد وصل بالفعل إلى نقطة أن فائدة كسر القاعدة في مناسبة معينة أكبر من فائدة اتباعها، فمن المؤكد أنه سيكون من اللاعقلانية الخالصة عدم كسرها؟ (Jenkins, 2006, p.29).

وبعد أن انتهى ويليامز من مناقشة عوامل الجذب المفترضة للنفعية كنظرية أخلاقية فإنه توصل إلى نتيجة مفاداها كالآتي:" إذا كانت النفعية صحيحة، وكانت بعض الافتراضات التجريبية المعقولة صحيحة أيضًا، فمن الأفضل ألا يؤمن الناس بالنفعية، أما إذا كانت خاطئة، فمن الأفضل بالتأكيد ألا يؤمن بها الناس، وعلى هذا فمن الأفضل في كل الأحوال ألا يؤمن الناس بها" (Williams, 98 1972, p.).

مما سبق يمكن القول إن هذه المقولة والنصوص السابقة تُعد دليلًا كافيًا على رفض ويليامز للنفعية بكل أشكالها وصورها، وينبغى أن لا يؤمن بها الناس فى كل الحالات، فعلى الرغم أنها حليفٌ أساسي لكنه

غير مستقر يختلف من شخص لآخر ومن موقفٍ لآخر ومن عصر لآخر، وذلك يرجع لطبيعتها نفسها التى تتسم بالنسبية والتغيير، وبالتالي عدم الاتساق والاستقرار، وبالرغم من ذلك فإن ويليامز يحاول تبرير هذا الرفض وموقفه العدائي من النفعية في أكثر من مقال.

هناك سؤال يطرح نفسه! هل توقف ويليامز في نقده للنفعية عند هذا الحد؟ الإجابة لا؛ لأنه يواصل هجومه من خلال مقال مفصل أطلق عليه (نقد النفعية) والذى يهاجم فيه النفعية بشكلٍ عام من أجل الإشارة إلى أن بعض السمات غير المرغوب فيها للنفعية تنبع من بنيتها العواقبية العامة (Smart & Williams, 1973, p.81.) كما سنرى.

(2) المسئولية السلبية Negative responsibility

من أسباب انتقاد ويليامز للنفعية أيضًا المسئولية السلبية، والتى يعرفها ويليامز**قائلاً: (إذا كنت مسئولاً عن شيء ما، فيجب أن أكون مسئولاً عن الأشياء التى أسمح بوجودها أو منعها، كما أننى مسئولاً عن الأشياء التى حققتها بنفسى...)** (Smart & Williams,1973, p.95). ينتقد ويليامز النفعية لأنه يترتب عليها نوعًا من المسئولية السلبية، فالفرد يكون مجبرًا على أشياءٍ لايسمح بوجودها أومنعها، فمن المفترض أن يكون الفرد مسئولاً عن الأشياء التى يسمح بوجودها بنفسه، أو يرفضها؛ لأنه من غير المنطقي أن يكون مسئولًا عن أشياءٍ لا علاقة له بها. ولذلك سوف يستعين ويليامز ببعض الأمثلة لتوضيح هذه الفكرة ولماذا يرفضها؟ ومن هذه الأمثلة على سبيل المثال لا الحصر مثال جيم.

وكما وضحنا سابقًا فإن ويليامز يهاجم كل صور النفعية، لكنه هنا يركز على النفعية عند " مل" التى تقوم على مبدأ تحقيق أكبر قدر من السعادة للآخرين؛ لأنه يترتب على ذلك نوع من المسئولية السلبية.

يجد جيم نفسه في الساحة المركزية لبلدة صغيرة في أمريكا الجنوبية، وهناك صف من عشرين هنديًا مربوطًا بالحائط، أغلبهم مذعورين، وأمامهم العديد من الرجال المسلحين بالزي العسكري، وهناك رجل يرتدى قميصًا ملطخًا بالعرق هو القائد المسؤول عنهم واسمه (بيدرو)، وبعد استجوابه لجيم الذي أثبتت التحريات أنه وصل إلى هناك عن طريق الصدفة في رحلة نباتيّة، كما أوضحت التحريات أيضًا أن الهنود مجموعة عشوائية من السكان الذين قاموا ببعض مظاهر الاحتجاج ضد الحكومة، وكان قرار (بيدرو) أن يُقتلوا ليكونواعبرةً لغيرهم ولتذكير المتظاهرين الآخرين بمزايا عدم الاحتجاج.

(Smart & Williams,1973, p.98)

ولكن بما أن جيم هو زائر مكرَّمٌ من بلد آخر، أصرَّ بيدرو أن يعطيه امتياز قتل أحد الهنود بنفسه إذا قبل عرض بيدرو سوف يتم الإفراج عن(19) التسعة عشر هنديًا الآخرين، لكن فى حالة رفض (جيم)، فلن تكون هناك فرصة أخرى لإنقاذهم، و(بيدرو) سيفعل ما كان على وشك فعله قبل وصول (جيم)، ويقتلهم جميعًا...الخ.

.(Smart & Williams,1973, p.98)

مما سبق فى هذه الحالة أيضًا يكون أمام جيم خيارين لا ثالث لهما، الأول: أن يقتل أحد الهنود لكي يستطيع إنقاذ (19)هنديًا، وهذا هو رأي النفعية، والخيار الآخر هو أن يتمسك بمبادئه وأخلاقه، ويرفض قتل الرجل الهندي؛ لأنه سوف يرتكب جريمة قتل، وفى هذه الحالة سوف يتم قتل العشرين هنديًا وهو معهم أيضًا وبما أن النفعية تهتم بنتائج الأفعال، وتحقيق اللذة والسعادة لأكبر عددٍ ممكن من الناس،

فيترتب على ذلك عدم اهتمامها بالأفراد ورغباتاهم وهو ما انتقده ديفيد روس* أيضًا من قبل قائلًا " **إن كل واحد منا مسئول بشكل خاص عما يفعله، وليس عما يفعله الآخرون**" (Smart & Williams,1973, p.99).

ثم جاء من بعده جون رولز ** وانتقد هذا المبدأ عند النفعية، حيث يرى جون رولز أن هذه النظرية لا تبالي بسعادة كل فردٍ، فهي تعامل جميع الأفراد معاملة فردٍ واحدٍ، وتأخذ بالاعتبار رفاهاً عامًا، لكنها لا تهتم بالشخص. (روس، 2001 ، صفحة 97).

وبناءً على ذلك يقول جون رولز: **إنه لا وجاهة للحساب النفعي الذي قد يحقق سعادة الأغلبية على حساب انتهاك حرية الأقلية، فالعدالة هي القوام الأبرز للحياة الاجتماعية إذ لكل عضو من أعضاء المجتمع حرمة تتأسس على العدالة، مع العلم أن هذه العدالة ليست فضيلة الأفراد بل فضيلة المؤسسات، وذلك" لأن العدالة تنكر أن تجعل خسارة الحرية لبعض الأشخاص صحيحة من خلال خير أكبر يشترك به آخرون...** (رولز،2011 ، صفحة 57).

ما سبق يتبين أن ويليامز قد اتفق مع ديفيد روس وجون رولز في رفضهما لإفراط النفعية في الاهتمام بالكل على حساب الفرد، وإهمال رغباته وطموحاته، وهو ما أطلق عليه ويليامز مصطلح المسئولية السلبية التى يكون الفرد فيها مجبرًا على ارتكاب بعض الأفعال التى ليس له دخل فيها؛ لأنه من المفترض أن يكون لدى الفرد حرية إرادة، وأن يكون مسئولًا عن الأفعال التى يسمح بوجودها أو منعها فقط، ولا يجب أن يكون مسؤلًا عن أفعال أُجبر عليها لمجرد الصالح العام؛ لأنه يترتب على ذلك تعارض بين المنفعة الفردية والصالح العام، وهذا ما يرفضه ويليامز ويقره "مل" وأمثاله من النفعيين، حيث اعترف "مل" صراحة في إحدى كتبه قائلاً:" بإنه يمكن تحقيق سعادة الآخرين عن طريق التضحية بسعادة الفرد، (مل،1996، صفحة21)، وهذا ما يرفضه ويليامز.

(3) - إهمال النفعية للمشاريع الشخصية personal projects

يواصل ويليامز هجومه على النفعية من خلال فكرة المشاريع الشخصية التى يعرفها ويليامز قائلًا إنها: " **الرغبة في عمل بعض الأشياء لنفسه، وعائلته، وأصدقائه، بما في ذلك ضروريات الحياة**

---

* - **ديفيد روس: David Ross (1877-1966):** فيلسوف وفيلولوجى إنجليزى من متابعى التقليد العقلى لصمويل كلارك. رفض النظرية التجريبية فى المعرفة، وأكد على تعدد أنواع الأحكام الأخلاقية. من أهم مؤلفاته: الحق والخير (1930) وأسس على الأخلاق(1939) وله أيضاً دراسات فى الفلسفة اليونانية أرسطو (1923) ونظرية أفلاطون فى المثل (1951).

أنظر إلى : طرابيشى، جورج (2006) معجم الفلاسفة(الفلاسفة- المناطقة- المتكلمون- اللاهوتيون- المتصوفون) ط3، دار الطليعة، بيروت، لبنان، ص327.

** - **جون رولز John Rowls (1921-2002)** : وُلد في 21 فبراير 1921 بالتيمور- مريلاند في الولايات المتحدة، وتُوفي في 24 نوفمبر 2002 . يُعد جون رولز فيلسوف سياسي وأخلاقي أمريكي، يعد من أكثر الفلاسفة أهمية فى النصف الأخير من القرن العشرين. التحق رولز بجامعة برينتسون عام 1939، بعد أن تخرج فى عام 1934 خدم فى الجيش الأمريكى، حصل على درجة الدكتوراة فى الفلسفة عام 1950. وفى عام 1952 حصل على منحة دراسية مكنته من قضاء العام 1952- 1953 فى أكسفورد. وعندما عاد إلى الولايات المتحدة حصل على منصب أكاديمى فى جامعة كورنيل، حيث عمل بالتدريس من عام 1953- 1959 وكان قسم فلسفة كورنيل فى ذلك الوقت متأثراً بفتجنشتين، وأيضاً بكتابات رولز. فى عام 1959 أنتقل إلى جامعة هارفارد لمدة عام فقط.عُرف بدفاعه عن الليبرالية المتساوية في أحد أهم أعماله، نظرية العدالة (1971). والليبرالية السياسية وقانون الجماعات البشرية. للمزيد أنظر إلى:

Christopher Belshaw &Gary Kemp, (2009) 12 Modern Philosophers, © Blackwell Publishing Ltd, p.34

الأساسية، وفي ظروف أكثر استرخاءً، أشياء للذوق، أو قد تكون هناك مساعي أو اهتمامات ذات طابع فكري أو ثقافي أو ابداعي...الخ . قد يكون لدى شخص ما مشاريع مرتبطة بدعمه لقضية ما، أو قد تكون هناك مشاريع تنبع من نزعة أكثر عمومية تجاه السلوك والشخصية البشرية". (Smart & Williams,1973, p p.110-111).

يستعين ويليامز بمثال جورج، الذي يعارض الحرب الكيمائية والبيولوجية كأمثلة على المشاريع، والذى يتضمن الارتباطات بالأصدقاء والعائلة، والصراع في نطاق الرغبات البشرية، بين الميول الأنانية والضرورات في أحد طرفيها، وإدارة السعادة الخيرية بشكلٍ غير شخصي، مما يترتب على ذلك نوعًا من المشاريع الأنانية، وهو ما يعارضه ويليامز(Jenkins,2006, p.33) كما سنرى.

حصل جورج على شهادة الدكتوراه في الكيمياء، وقد وجد صعوبةً بالغةً في الحصول على وظيفة؛ لأنه يتمتع بصحةٍ غير جيدة، مما يقلل من عدد الوظائف التي قد يكون قادرًا على القيام بها بشكل جيد. مما يترتب على ذلك اضطرار زوجته إلى الذهاب إلى العمل لتغطية مصاريف أسرتها، وهو ما تسبب في ضغطٍ كبيرٍ عليه؛ لأن لهما أطفالًا صغارًا وتوجد مشاكل خطيرة في الاعتناء بهم. إن نتائج كل هذا مدمرة، وخاصة على الأطفال، وبناءً على ذلك يأتي زميل له وهو كيميائي أكبر منه سنًا يعرف ظروفه، ويستطيع أن يحصل لجورج على وظيفةٍ بأجرٍ مناسبٍ في مختبر حرب يتابع تصنيع الأسلحة الكيميائية والبيولوجية. يقول جورج إنه لا يستطيع قبول ذلك؛ لأنه يعارض الحرب الكيميائية والبيولوجية. يرد عليه زميله الأكبر سنًا بأنه ليس حريصًا على ذلك، ففي حالة رفض جورج لوظيفته، فمن المؤكد أنها سوف تذهب إلى أحد معاصري جورج الذي لا تكبحه أي شكوك من هذا القبيل، ومن المرجح أن يتم تعيينه في هذا المنصب؛ لمواصلة البحث بحماس أكبر من جورج في الواقع لا يتعلق الأمر بجورج وعائلته فحسب، بل يتعلق ببعض القلق بشأن الحماس الزائد لهذا الرجل الآخر، مما يدفع الكيميائي الأكبر سنًا إلى عرض وظيفه جورج عليه لاستغلال حماسته(Smart & Williams,1973, p.97) .

مما سبق من خلال تحليل هذا المثال يكون أمام جورج خياران فقط لا ثالث لهما، وهو إما قبول الوظيفة وفي هذه الحالة يتخلى عن قناعته ومعتقداته وأخلاقه جانبًا، ويفقد نزاهته أيضًا، ويترتب على ذلك جودة أقل لتصنيع الأسلحة البيولوجية مما يتيح فرصة تدمير أقل للحرب، وإما أن يتخلى عن وظيفته لأحد معاصريه وهو يعلم جيدًا أنه يفوقه بمراحل وفى هذه الحالة سوف تكون نتائج أكبر وجودة تصنيع الأسلحة أكبر مما يترتب عليه دمار شامل للبشرية، فمن وجهه نظر النفعية يجب على جورج قبول الوظيفة بحجة أن ينظر إلى الصالح العام.

ولذلك فإن ويليامز ينتقد النفعية فى تجاهلها الرغبات الشخصية، والعلاقات الشخصية فى التجربة الأخلاقية بقدر اهتمامها بتحقيق مبدأ تحقيق السعادة وتجنب الألم، مما يترتب عليه فقد الهوية والعلاقات الشخصية التى أطلق عليها ويليامز " المشروعات الأساسية" التى تمثل شخصية الفرد وهويته وتعطي لحياته المعنى والقيمة، وذلك لأن لكل إنسان مجموعة من الرغبات والاهتمامات التى تشكل شخصيته.

(Williams, 1981, pp.4-5).

كما أن النفعية تتجاهل التأثير النفسي الذي يقع على الفرد، ففى حالة قبول جورج وجيم فإن الآثار النفسية المترتبه عليهم سوف تكون سيئة، لشعور كل منهم باللوم والارتباك؛ لأنه قام بفعل شيء خاطئ، لكن النفعية توازن النتائج فقط، وترى أنهم فعلوا الصواب، كما أن هذه المشاعر من وجهة نظر النفعية ليست عقلانية، وليس لها قيمة كبيرة فى الحسابات النفعية.

لذلك يقول ويليامز على لسان الشخص النفعي:**" ينبغي ألا يكون لهذه المشاعر أي وزن على الإطلاق، ولا ينبغي لنا أن نشجع مثل هذه المشاعر، حتى ولو تقبلنا وجودها، وذلك لأن إعطائها قدرًا كبيرًا من الثِقَل يعني تشجيعها، أو في أفضل الأحوال، حتى ولو كانت هذه المشاعر واضحة ومباشرة، فلا يجب أن يكون لها وزن على الإطلاق عند النفعي؛ لأنها تعتبر مشاعر مزيفة وغير عقلانية!".** (Smart & Williams, 1973, p.103).

إذن لاتنبع أهمية المشاريع والالتزامات من محتواها بقدر ما تنبع من دورها في تشكيل الشخصية، في تكوين الذات، في تقديم ما لايقل عن أسبابٍ للعيش على حد تعبير ويليامز، **"مشاريعي الحالية هي شرط وجودي، بمعنى إذا لم يتم دفعي إلى الأمام من خلال مجموعة من الرغبات والمصالح والاهتمامات،..فلماذا يجب أن أستمر على الإطلاق (** Jenkins , 2006, p.33**).**

وبالتالي فمن غير المنطقي أن نطلب من شخصٍ ما أن يبتعد عن مشروعه وقراره ويعترف بالقرار الذي يتطلبه الحساب النفعي، أي إبعاده بالمعنى الحقيقي عن أفعاله ومصدر عمله في قناعاته الخاصة، والاهتمام بمشاريع الجميع، وإهمال مشاريعه الخاصة، ومخرجات القرار الأمثل بالنسبة له , Jenkins) (2006, p.34 (لأن ذلك يترتب عليه نوعًا من التضحية بالفرد من أجل الجميع، وهذه تضحية مزيفة لأنها ليست نابعة من القلب والضمير معًا وبالتالي فهي خالية من المعنى والمحتوى بالنسبة للشخص نفسه).

(4)- افتقار النفعية لقيمة النزاهة integrity

يستكمل ويليامز نقده للنفعية من خلال الحجة التى أحدثت ضجة كبيرة، ويبدو أن ويليامز نفسه حذَّر منها إلى حدٍ ما حيث يقول: **"اتضح أنني قد اخترعت شيئاً يسمى "اعتراض النزاهة" على المذهب النفعي، وقد بدأ نقاشًا حول مسألة كيفية تلبية هذا الاعتراض،...**(Jenkins, 2006, p.29) .

يعرف ويليامز النزاهة قائلاً**: إنها خاصية إنسانية رائعة، لكنها لا تتعلق بالدوافع مثل الفضائل، كما أنها ليست تصرفًا ينتج عنه دوافع مثل الإحسان، فلو اعتبرنا النزاهة كفضيلة فسوف تكون مثالًا على الانغماس الذاتي، وحينها سيكون من الصعب إعادة بنائها في الفكر باستثناء الطريقة التأملية غير المقبولة (الطريقة الانعكاسية)** (.Williams , 1981,p.49) إذن النزاهة ليست فضيلة عند ويليامز.

تهدد النفعية النزاهة من خلال إبعاد الأشخاص عن مشاعرهم، لاسيما في الظروف التي توجد فيها أسباب قوية لفعل شيء يعتبره المرء مقيتًا من الناحية الأخلاقية، ويكون تجاهه التزام شخصي قوي .(Williams, 1981,p.40.)

لا تحدث الأفعال -بالطبع- من فراغ نفسي أو عاطفي، وينصب تركيز ويليامز هنا على الطريقة التي تتكيف بها النفعية، أوتفشل في استيعاب المشاعر الشديدة لشخص مثل جيم ، الذي تستدعيه الظروف والحسابات النفعية لقتل رجل إن وجهة نظر ويليامز ليست في أن مشاعر جيم قد تبدو قليلة الأهمية مقارنة بالأشياء الأخرى المعرضة للخطر، ولكنها تتعلق "بجاذبية قوية ومعترف بها يمكن إجراؤها بشأن هذه النقطة: إن رفض جيم لفعل ما تمت دعوته إلى القيام به سيكون نوعًا من الشعور بالحساسية الشديدة يشكل مثل هذا النداء ويجب أن يُقال إنه سلاح نفعي قوي(.Smart, & Williams, 1973, p.102) .

ينتقد ويليامز النفعية أيضًا، لأن نزاهة الفاعل، مثل جيم، على سبيل المثال، ليست مهددة في الحالات التي "يشعر فيها بالسوء ...لأنه يعتقد أنه فعل شيء خاطئ، ولكن المشاعر التي يشعر بها وقت اتخاذ القرار غير عقلانية أيضًا، وهذا لسبب بسيط جدًا؛ لأن النفعية تهتم بالنتائج، وبالتالي فهو لم يفعل (من

وجهة النظر النفعية) الشيء الخطأ، وبالنظر إلى النتيجة فيما يتعلق بصحة قتل جيم للهندي لإنقاذ تسعة عشر، فهذه المشاعر سيئة وغير عقلانية. ولذلك فإن محاولة الطعن في مشاعر الفاعل بتهمة القلق الأخلاقي تعني محاولة التلاعب بالفاعل في إطار تداول نفعي، وهي محاولة قد تنجح أو لاتنجح Smart, & Williams, 1973, pp.101-102.).

لكن بالنسبة لويليامز، فإن السؤال الحقيقي هو: هل المشاعر غير السارة مجرد تجارب غير قابلة للتقييم الحسابي، أو شيء أكثر عمقًا؟ لنفترض أن جيم يرفض إطلاق النار على الهندي، يؤكد النفعي أن مشاعر جيم هي مجرد تجارب مزعجة، وليس لها حساب خاص بالنسبة لاعتبارات تعظيم الرفاهية للكل، وأن مقاومة الاستنتاج النفعي في احترام تلك المشاعر يظهر الانغماس في الذات، لكن بافتراض أن جيم ينظر إلى الأمر من وجهة نظر غير نفعية، فقد يرى أن مشاعره ليست مجرد تجارب غير سارة، ولكنها ليست أقل من تعبير عن الصواب والخطأ، مما يدل على ما يمكنه وما لا يمكنه فعله، وهنا يأتي دور النزاهة.(Jenkins, (2006), p.36)

بناءً على ذلك يرى ويليامز أنه لا يمكننا اعتبار مشاعرنا الأخلاقية مجرد أشياء ذات قيمة نفعية؛ لأن علاقتنا الأخلاقية بالعالم تُعطى جزئيًا من خلال هذه المشاعر، ومن خلال الإحساس بما يمكننا أو لا يمكننا "العيش معه"، لننظر إلى هذه المشاعر من وجهة نظر نفعية بحتة، أي أنها تحدث خارج الذات الأخلاقية، يفقد المرء الإحساس بالهوية الأخلاقية؛ ليخسر نزاهته بالمعنى الحرفي للكلمة.في هذه المرحلة تُنفر النفعية المرء عن مشاعره الأخلاقية ... (.Smart, & Williams, 1973, pp.103- 104).

مما سبق يرى ويليامز في نقده للنفعية أنها تفتقر لقيمة النزاهة التى يضطر الأشخاص في بعض الأحيان للتخلي عنها في سبيل الصالح العام، فبالعودة إلى مثال جيم الذي يضطر أن يقتل شخص هندي لإنقاذ التسعة عشر الآخرين، فإنه سيكون مضطرًا للتخلي عن مبادئه ونزاهته، ويرتكب جريمة قتل، وسوف يظل هذا الذنب يرافقه طوال حياته، حتى وإن فعل الاختيار الصحيح من وجهة نظر الكثيرين، وبالتالي يرفض ويليامز إغفال النفعية لمشاعر الأفراد ورغباتهم واعتبارها غير عقلانية، مما يشعرهم بالضجر والاغتراب عن أنفسهم.

(5)- النفعية والانغماس الذاتى الأخلاقى: Utilitarianism and moral self- indulgence

يستكمل ويليامز نقده للنفعية لافتقارها لقيمة النزاهة في مقالته "الانغماس الذاتي الأخلاقي" التى نشرها في كتابه "الحظ الأخلاقى"، حيث يُبدى ويليامز اهتمامًا أقل بكيفية استيعاب مشاعر الحساسية للأفراد واهتمامًا أكثر بالمحتوى الفعلي لتهمة الانغماس في الذات، في حين أنه ناقش في وقتٍ سابقٍ فشل النفعية في تصوير المشاعر غير السارة للأفراد في ضوء المصالح المشتركة المحددة جماعيًا يعالج ويليامز الآن تهمة الانغماس الذاتي نفسها، حيث يعتقد أن التهمة، الواردة في هذه المقالة ترقى إلى مستوى دعوة قسرية للتداول النفعي، وبالتالى هناك سؤال يتبادر إلى الذهن ما الذي يكمن في قلب هذه التهمة؟!.

يفتتح ويليامز مقالته قائلًا:

" تنبع مشكلتي من السؤال عما يجب على المرء أن يفعله في الحالات التي توجد فيها أسباب قوية، لفعل شيء يراه المرء مكروهًا من الناحية الأخلاقية، لكنه ملزمًا بتنفيذه، وذلك لأسباب نفعية محضة، كما أنه يتضمن بالطبع تساؤلات حول ما يقوله المرء، ويفكر فيه بشأن تصرفات الآخرين في مثل هذه المواقف، ما يقلقني هو اتهام يمكن توجيهه إلى الأشخاص الذين يرفضون أعمالًا مكروهة أخلاقيًا،

وبالتالى يتم اتهامهم بأنهم مذنبون بارتكاب نوع معين من الانغماس في الذات...الخ"(Williams, 1981, p.40.**)**.

وبتحليل ما سبق فإن تهمة الانغماس الذاتي التي ينتقدها ويليامز في النفعية تظهر عندما يوجد فعل ما يراه الفرد مرفوضًا من الناحية الأخلاقية، ولكنه مجبرٌ على فعله لأسبابٍ نفعيةٍ بحتة.

بناء على ما سبق هل سُيظهر جيم نزاهته من خلال رفض طلب الدكتاتور(بعدم قتل أحد الهنود) حتى لا يكون هذا الفعل سببًا في اقتناعه بأن قتل شخص بريء؛ لأن ذلك يعتبر جريمة قتل بغض النظر عن الظروف التى وجد نفسه فيها، هل يدعو إلى حد ما تهمة الانغماس في الذات؟ هل جورج، بافتراض أنه تمسك ببندقيته (تعبير مجازى) وأظهر نزاهته من خلال رفض مهمة تصنيع الأسلحة البيولوجية، يستحق تهمة الانغماس في الذات؟.

يرى ويليامز أننا الآن في وضع يسمح لنا برؤيةٍ أفضل للعلاقة بين النفعية والنزاهة في مسألة الانغماس الذاتي الأخلاقي إذا تم تحديد السمة المرفوضة للانغماس الذاتي الأخلاقي على أنها نوع معين من الدوافع الانعكاسية التى تتناقض مع الدافع النفعي... كما أن الدافع النفعي يبدو للكثيرين العدو الفريد للانغماس الذاتي الأخلاقي؛ لأنه أفضل تعبيرٍ عن الاهتمام بالآخر في مقابل الاهتمام بالذات- اهتمام النفعية بالجميع يفوق الاهتمام بالذات، وبالتالي، فإن الاهتمام بالآخر والاهتمام بالذات ليسا نفس الشيء.

. (Williams, 1981, p. 48)

يتساءل ويليامز عن نزاهة الفرد قائلاً: ماذا عن الاهتمام بنزاهة الفرد؟ يجيب قائلاً بأن أبسط ما يمكن قوله عن هذا، أن النزاهة ليست فضيلة مثل الفضائل الأخرى كالتواضع، والكرم، والإحسان، ولكنها صفةٌ بشريةٌ رائعةٌ لا علاقة لها بالدوافع، وليست تصرف ينتج عنه دوافع، لأن ذلك يعرضها للتشوه، وهي ضرورية من أجل العلاقة بالذات والعالم، والشخص الذي يظهر نزاهته يتصف بالشجاعة، وضبط النفس ونزاهته تكون نابعة من أعماق نفسه(Williams, 1981, p. 49) .

إن الخطأ الذي يرتكبه النفعي ويكون سببًا في اتهامه بالانغماس الذاتي الأخلاقي ينطوي على اعتبار النزاهة فضيلة في المقام الأول، والتهمة التالية هو اعتبار النزاهة دافعًا، فمن الصعب إعادة بناء تمثيلها في الفكر إلا بالطريقة العكسية، ويجب أن يكون الفكر متعلقاً بالذات وبالشخصية، إذا كان لابد من توفير النزاهة بفكرةٍ مميزةٍ، فلن يكون هناك شيء يمكن للفكر أن يدور حوله سوى الذات ولكن لا يوجد مثل هذا الفكر التمثيلي الخيري، يوجد فقط الأفكار المرتبطة بالمشاريع، والتي قد يعرض الإنسان في تنفيذها النزاهة .(Williams, 1981, pp.49-50)

ولكن ماذا عن فكرة " ليس من خلالي" - الفكرة القائلة بأنه حتى لو كان الآخرون سوف يجلبون الشر والظلم إلى العالم، فلن يكون ذلك من خلال وكالتي (الشخص المؤكل بالفعل)**؟.** فى حالة إذا أُجبر المرء على القيام بفعل ما، وكان لدى المرء دافع لعدم القيام بذلك بنفسه، فهناك دافع (آخر) لدى المرء لعدم القيام بذلك.أحد هذه الدوافع هو الخوف بشكلٍ عام، غالبًا ما يفضل الفاعل أن يكون قادرًا على القيام بكل ما يخشى فعله فيما يتعلق بذلك، فإن الخوف حالة خاصة، حيث يوفر إما استثناءً له، وإما مثالًا معقدًا بشكل خاص، ولكن على أي حال، فإن الخوف، من أي نوع، ليس دائمًا دافع الفاعلين الذين يستخدمون هذه الكلمات. .(Williams, 1981, p.51)

الخلاصة ينتقد ويليامز النفعية لاتهامها الأفراد بتهمة الانغماس فى الذات، حيث يرى ويليامز أنه فى حالة أجبار النفعية الأفراد على القيام ببعض الأفعال التى يكرهون القيام بها لأسباب أخلاقية، أو أى سبب

من الأسباب كالخوف مثلاً، فإن النفعية تتهمهم بالانغماس فى الذات أى أنهم يفضلون مصلحة الذات على مصلحة الجميع، وحينما يحدث شر ما فإن هذا الشر ليس من خلال الفاعل بل الأخرين الذين أجبروه هم من أحدثوا هذا الشر.

رابعاً: نقد برنارد ويليامز للنفعية غير المباشرة والنفعية المباشرة

1-نقد برنارد ويليامز للنفعية غير المباشرة

أ-تعريف النفعية غير المباشرة

كان من ضمن المصطلحات الخاصة التى استخدمها ويليامز بصورة مختلفه عن غيره من الفلاسفة هو مصطلح النفعية غير المباشرة الذي اطلقة على نفعية القواعد، والمقصود بها "**القيمة التبعية المرتبطة بالقواعد أو الممارسات التى تتخذ القرارات بموجبها دون إشارة إلى العواقب أو النتائج**".

(Smart& Williams,1973, p.108).

يرى ويليامز أن مصطلح "القواعد" غير مناسب لأنه يهتم بالقيمة غير المباشرة لأنواع مختلفة من الأشياء إلى جانب القواعد مثل التصرفات، وكذلك الفروق الأخرى في هذا المجال.

(Smart & Williams,1973, p.81).

عند الحديث عن النفعية غير المباشرة أو نفعية القواعد (utilitarian rules) كما جاءت في كتاب ويليامز "الأخلاق وحدود الفلسفة"، نجد أن ويليامز يأسف على "التفكك الموجود في هذا النوع من النظرية، بين روح النظرية نفسها والروح التي يُفترض أنها تبررها"، فجوة نفعية غير مباشرة تمتد من خلال التمسك بالتمييز بين النظرية والتطبيق، ومن ناحية أخرى تعتمد النفعية غير المباشرة كممارسة على تنمية بعض التصرفات والعادات الأخلاقية -أي ميول معينة لاتباع القواعد الأخلاقية -من قِبَل الأشخاص الذين يعتبرون تلك العادات بالذات والتخلص منها مبررة إلى حد كبير بحكم قيمتها الجوهرية (Williams,1985,p.108).

يرى ويليامز أن النفعية غير المباشرة يترتب عليها نوعًا من الانفصال، وأول ضحايا هذا الانفصال، افتقارها لقيمة الشفافية. (أى أن النفعية غير المباشرة غير مبالية بقيم الشفافية الاجتماعية).

(Smart& Williams,1973, pp.107-109).

ب- نماذج على النفعية غير المباشرة

ينتقد ويليامز نماذج من الفلاسفة المعاصرين الذين تناولوا النفعية غير المباشرة منهم على سبيل المثال لا الحصر"هنرى سيدجويك'Henry Sidgwick (1838-1900)(*) ، حيث يرى ويليامز أن الإصدارات الحالية من النفعية غير المباشرة ...تحدد عادة التمييز بين النظرية والممارسة من الناحية النفسية بدلاً من المصطلحات الاجتماعية، حيث تنفصل النظرية والممارسة الآن على المستوى الشخصي، وليس بين الأشخاص، حيث يميز النفعيون غير المباشرون بين وقت التنظير ووقت الممارسة،

(*)- **هنرى سيدجويك** Henry Sidgwick (1838-1900): فيلسوف انجليزى، وأستاذ كرسى نايتبردج للفلسفة الأخلاقية بجامعة كيمبردج، منذ عام ١٨٨٣م حتى وفاته، كان طوال حياته يمثل رجل جامعة كيمبردج، وكان نتاجاً يحمل طابع تلك الجامعة بأكمل معانيه، كتب فى الاقتصاد كما كتب فى الفلسفة، وكان عضواً مؤسساً لجمعية البحث فى الروحانيات، كما كان أول رئيس لها. والكتاب الذى يعَرف به سيدجويك هو "منهج علم الأخلاق" الذى نشر فى عام ١٨٧٤م، والذى يعتبر من أهم كتبه على الاطلاق. للمزيد أنظر إلى: (سليمان، 2016، صفحة 1295).

ويستخدمون فكرة الأسقف بطلر* عن "الساعة الهادئة"الذي فيه يعكس الأخلاقي الميول فلسفيًا على مبادئه وممارساته، يقول ويليامز: لسوء الحظ، هناك صعوبات شديدة مماثلة في هذا الإصدار(Jenkins, 2006, p.41).

وبناءً على ذلك فإن النفعية غير المباشرة تبدو غير مستساغة عندما يُنظر إليها على أنها ظاهرة اجتماعية وسياسية بين الأشخاص، حيث تثبت أنها غير قابلة للتصديق، كما يعتقد ويليامز، باعتبارها شخصية داخلية، ظاهرة نفسية، وذلك بسبب الحقائق العميقة حول التنظيم النفسي والقدرة البشرية على الجهل المتعمد (Williams, 1985, pp. 109-110).

في دراسة موسعة لفلسفة سيدجويك، حدد ويليامز العقبة الرئيسة التي تواجهها النماذج الأخلاقية التي تعتمد على التشعب داخل النفس للنظرية والممارسة: تكمن الصعوبة في ... أن التصرفات الأخلاقية، والولاءات والالتزامات الأخرى عميقة ولايمكن اعتبارها بسيطة، على الأقل من قِبَل صاحبها، تمامًا كأدوات لتوليد الأفعال والتصرفات، هذه التصرفات والالتزامات ستكون مميزة وتعطي حياة المرء بعض المعنى، وتعطي المرء سببًا لعيشها؛ يمكن أن يُقال عنها بدرجات متفاوتة، وبشكل مختلف بمرور الوقت، للمساهمة في الهوية العملية أو الأخلاقية للفرد ببساطة، لايوجد تصرف ما يمكن تصوره يتمثل في الخروج تمامًا من نفسي ومن وجهة النظر هذه، تقييم التصرفات والمشاريع والعواطف التي تشكل جوهر حياتي الخاصة(Jenkins, 2006, p.42).

مرة أخرى يأتي مفهوم المشاريع الشخصية ودورها في تكوين الهوية في المقدمة؛ في الواقع، فإن مفاهيم النزاهة ومعنى الحياة ليست بعيدة عن عقل ويليامز، حيث إن متطلبات النفعية غير المباشرة تقوض بشكل معقول قيمة الشفافية (Jenkins, 2006, p.42-43).

مما سبق نجد أن ويليامز يرفض المنفعة غير المباشرة عند سيدجويك رغم محاولته إقامة المنفعة على الحدس، ومعارضته النفعية التجريبية التى تقوم على دعامتين إحدهما: مذهب اللذة السيكولوجى. والأخرى إقامة المنفعة العامة على أساس المنفعة الفردية. (سليمان، 2016، صفحة 1299).

2-نقد برنارد ويليامز للنفعية المباشرة

أ-تعريف النفعية المباشرة

من صور النفعية التي انتقدها ويليامز على وجه الخصوص هى النفعية الفعلية (Utilitarianism Act) والتي أطلق عليها العواقبية المباشرة (direct Consequentialism) أو التبعية المباشرة، أو النفعية المباشرة، ولكننا سنوحد المصطلح، وهو النفعية المباشرة.

يعرف ويليامز النفعية المباشرة بأنها:" **تعنى القيمة التبعية للأخلاق مرتبطة مباشرة بأعمال معينة"**

(*)- **جوزيف بطلرJoseph Butler 1692-1752 :** جوزيف بطلر عالم لاهوتى انجليزى قدم اسهامات مهمة فى الفلسفة الأخلاقية، وفهم الفاعلية الأخلاقية. اشتهر فى عصره بالدفاع عن العقيدة المسيحية الأزوذكسية. كان الأرث الفلسفى الرئيسى لبطلر سلسلة من الحجج شديدة التأثير فى مجموعة من الخطب كان أهمها عن الفضيلة والأخرى عن الهوية الشخصية. الطريقة التحليلية لهذه المقالات يتم تلخيصها فى الأتى: " كل شيء على ما هو عليه وليس شيئاً آخر". غالباً ما ينسب إليه الفضل فى تفنيد النزعة النفسية، وهو الرأى القائل بأن جميع الدوافع يمكن اختزالها فى الرغبة والمتعة أو السعادة. راجع:

Audi, Rober, (1999), The Cambridge Dictionary of Philosophy, 2nd, press, Cambridge University, p.109.

(Smart & Williams, p. 81). يرى ويليامز أن النفعية المباشرة هي نموذج النفعية في إصرارها الصريح على تعظيم المنفعة ورفضها التراجع عن القواعد، وتُعد من بين جميع المذاهب النفعية الأكثر إخلاصًا لروح النفعية وإلى مطالبتها بمجموعة قيم عقلانية قابلة للتقرير، وقائمة على أساس تجريبي غير غامضة. (Smart & Williams, p.128)

ب-نماذج على النفعية المباشرة

من الأمثلة التى ينتقدها ويليامز على النفعية المباشرة هي نفعية سمارت* الفعلية، التى يؤيدها ويدافع عنها في مقاله" النفعية مع وضد" *Utilitarianism: For and Against* بالاشتراك مع ويليامز في مقاله " نقد النفعية"، ليصبح مؤلفًا واحدًا يشمل الاثنين معًا؟.

لقد ذكرنا سابقًا أن ويليامز لم يخصصْ مقاله للرد على سمارت، ولكنه كان ينتقد المذهب النفعي برمته بما فيه سمارت كنموذج على النفعية الفعلية التي يعني بها سمارت:" **أن صواب أي فعل معين يعتمد على حسن نتيجته"(**Smart & Williams, p.63.**)**. وهو ما انتقده ويليامز حيث ذكر بعض العيوب الخاصة بسمارت كالآتى:

يرى ويليامز أن نظرية سمارت السببية للتعليق الأخلاقي تتضمن عيبين، أحدهما أنها -كممارسة- تفتقر أساسًا إلى الانفتاح أي أنه من غير الممكن أن يُعرف علنًا في المجتمع ماهية هذه الممارسة.

يتمثل الضعف الثاني في النظرية السببية للتعليق الأخلاقي في أنها تجعل من الصعب للغاية فهم وجهة نظر الإنسان عن سلوكه خاصةً إذا كان هو نفسه يؤمن بالنظرية السببية، وبالتالي من الصعب أن نراه يلوم نفسه إذا كان يعرف ما يفعله، كما أن النفعيون في الواقع ليسوا حريصين أيضًا على إلقاء اللوم على الناس، لأنه لن يغير ما حدث بالفعل، مثل البكاء على اللبن المسكوب، لكنهم بدلاً من ذلك، فهم مهتمون بالتأثيرات العملية المستقبلية....إلخ. كما يدين ويليامز مذهب المنفعة الفعلية (كما عند سمارت) لعدم قدرته على تقييم أو حتى الاعتراف بنوع المشاريع والالتزامات التي تضفي على حياة المرء معنى.

.(Smart & Williams, pp.123-126)

3-الفرق بين النفعية غير المباشرة والنفعية المباشرة

لا يمكننا أن نقول فقط إن النفعية المباشرة تنظر فقط إلى فائدة الأفعال، بينما النفعية غير المباشرة، على النقيض من ذلك، مستعدة للنظر في فائدة أشياء أخرى غير الإجراءات، مثل القواعد والمؤسسات والتصرفات الشخصية، ولذلك يجب أن يكون الشخص النفعي مستعدًا للنظر في فائدة أي شيء؛ لأن هدفه هو تعظيم المنفعة، وأي شيء، من أي نوع، يجب أن يكون وجوده أو تقديمه أو أي شيء له آثار متوقفًا على مقدار الرضا في العالم لذلك التقييم بالمعيار النفعي.

---

* - **جون سمارت J.J.C. John Smart:** (1920–2012) فيلسوف استرالى ولد بكمبريدج عام 1920، هاجر من انجلترا إلى استراليا عام 1950. ألقى عدد من المحاضرات فى كثير من الجامعات منها الجامعة الوطنية الاسترالية. كان لجون سمارت تأثير كبيراً فى استراليا وكان معروفاً باعتباره عالماً واقعياً ومادياً فى مجال العلوم، وكان معروفاً بدفاعه عن هوية العقل فى الأخلاق. كان من أقوى المدافعين عن النفعية. من أهم كتبه : النفعية مع وضد الذى اشترك فيه مع ويليامز، وكتاب الفلسفة والواقعية العلمية 1963 ومقالات ميتافيزيقية وأخلاقية عام 1987.

راجع CP/ Blackburn, Simon, (2016), The Oxford Dictionary of Philosophy, Third edition, Oxford, Uk, p.446.

إذا قلنا أنه لا يوجد اختلاف حقيقيّ بين النفعية المباشرة وغير المباشرة، فإن المنفعة المباشرة يمكن أن تأخذ أيضًا في الحسبان تأثيرات أشياء مثل القواعد، ويجب أن تكون النفعية المباشرة، من حيث الأهداف العامة للنفعية غير عقلانية؛ لأنها ببساطة ستتجاهل مصادر المنفعة المهمة، وفي هذه الحالة يكون هناك اختلاف بينهما(Smart & Williams, pp.119-120).

-وهكذا، كما قلنا في البداية، تعتبر النفعية المباشرة هذا الفعل صحيًا؛ لأنه يترتب عليه أفضل النتائج، لذلك قد يُتوقع من النفعية غير المباشرة أن تنكر ذلك، وتؤكد أن بعض الأفعال صحيحة على الرغم من أنها لا تؤدي إلى تعظيم المنفعة على سبيل المثال؛ لأنها تتم وفقًا لقاعدة ذات قيمة نفعية، أي أن الفعل يمكن أن يكون صحيحًا لمجرد أنه كان تعبيرًا عن التصرف في الشخصية، والذي يُعد الحصول عليه في المجتمع ذا قيمة نفعية، وبالتالي يمكن تسجيل الاختلاف بطريقةٍ ما، على مستوى تقييم أفعال معينة، ومع ذلك يجب أن نتذكر أنه يمكن تحديد الاختلاف فيما يتعلق بصحة الأفعال.وبالتالي إذا سألنا النفعي غير المباشر" ما هو صواب الأفعال؟" فلن نحصل بالضرورة على إجابات مختلفة(Smart & Williams, p.121.).

الخلاصة بما أن النفعية بوجه عام هى نوع من العواقبية التى تهتم بشكل خاص بالسعادة. فإنه يترتب على ذلك أن النفعية الغير مباشرة تؤمن بضرورة أن تطبق الأفعال القواعد التي إن طبقت أدت إلى تحقيق أكبر قدر من السعادة. والنفعية المباشرة والتى تقول: إنه يجب تأدية الأفعال، مع التركيز على قيمة كل فعل على حدة، التي سوف تنتج أكبر منفعة ممكنة لأكبر عدد من الناس. وبالتالى يصبح شغلهم الشاغل هو تحقيق مبادىء النظرية النفعية فى تحقيق السعادة الكلية بصرف النظر عن السعادة الشخصية وهو ما يرفضه ويليامز. وبناءًا على ذلك يصبح الفرق بين النفعية المباشرة والغير مباشرة غير واضح، طالما أننا نعتبر النفعية على الأقل نظام للتقييم الشامل (Smart & Williams, p.120).

يقول ويليامز "لقد تعاملت إلى حدٍ كبير مع النفعية كنظامٍ للأخلاق الشخصية وليس كنظام لاتخاذ القرار الاجتماعيّ أو السياسيّ" (Smart & Williams, p.76.). وهذا ما جعل ويليامز ينتقد النفعية بكل أشكالها، وذلك لتجاهلها المشروعات الشخصية للأفراد، بل تجاهلها الشخصية الفردية بصفة عامة.

إذن ينتهى ويليامز في حديثه عن النفعية بأنها لا يمكن أن تكون منطقية ولا يمكن أن تفعل ذلك لسبب أساسى هو أنها لا تستطيع أن تعطي سوى الإحساس السطحي بالرغبة الإنسانية، والعمل الإنساني على الإطلاق وهو إحساس ضعيف (Smart & Williams, p.82.)

وبذلك ينتهي ويليامز في نقاشه للأخلاق النفعية المباشرة وغير المباشرة بأنها لا توجد بها نظرية أخلاقية متماسكة، فلا يمكن للنظرية الأخلاقية أبدًا أن تفعل ماتحدده؛ لأن الممارسة الأخلاقية، التي تحدد النظرية، تتجاهل السعي وراء المشاريع الشخصية، وتجعل جُل اهتمامها التمسك بمبادىء النظرية النفعية في الأخلاق.

خامساً: مناقشة وتقييم لآراء ويليامز حول النفعية

بعد أن انتهت الباحثة من عرض موقف ويليامز من المذهب النفعي، وجدت أن ويليامز قد أسرف في النقد ولم يقدم بديلًا. صحيح أنه كان يعرض بعض الأفكار من خلال هذا النقد، ولكن هذه الأفكار والنقاط التى كان يريد التأكيد عليها لا تُعد بديلًا كافيًا عن ذلك النقد، من خلال تقديم نظرية أخلاقية متماسكة، لكن ويليامز لم يفعل ذلك، وفضَّل استخدم أسلوب -النقد الهدام - النقد لمجرد النقد، ولم يفعل مثلما فعل غيره من الفلاسفة الذين انتقدوا المذهب النفعي، لكنهم قدموا البديل عنه مثل جون رولز ودريك بارفت.

مما لا شك فيه أن ويليامز لم يكن الفيلسوف المعاصر الوحيد الذي هاجم النفعية وانتقدها بكل قوته، ولكن يوجد أيضًا الفيلسوف الأمريكي " جون رولز" الذى انتقد النفعية لأنها لا تبالي بسعادة الفرد، ولكنه

قدم البديل في نقده، ولذلك فإن المذهب النفعي الذى يعتمده جون رولز ويناقشه يمدُّ إلى المجتمع المعايير، والمحاكمات المألوفة في نطاق الأفراد، والحق أن الفرد يميل إلى زيادة رفاهه الخاص إلى القيام بحساب الخسائر والأرباح على نحو يحقق لنفسه به أكبر خير ممكن، وعلى هذا المنوال تجدنا نفرض على أنفسنا تضحيات مفيدة غرضها جعلنا نكسب بعدئذٍ منافع أكبر (روس، 2001، صفحة97).ولذلك فإن جون رولز لم يكتفِ بالنقد مثلما فعل ويليامز ولكنه قدَّم البديل "بنظريته فى العدالة" والتى تُعد نقطة تحول غير مسبوقة في الأوساط الفلسفية، حيث ينتقد المذهب النفعي، ويقر بأولوية الحق على الخير ودفاعة عن مبدأ حيادية الدولة، ورفض أن تحقق سعادة الأغلبية على حساب الأقلية؛ وذلك لأن لكل عضو فى المجتمع حرمة تتأسس على العدالة. (رولز، 2011، صفحة57). حيث تعتبر العدالة هى الفضيلة الأولى للمؤسسات الاجتماعية..ولأن في العدالة إنصافًا (رولز، 2011، الصفحات 29-38).

هناك أيضًا " بارفت*" أحد معاصرى ويليامز الذي حاول نقد النظريات الأخلاقية الكلاسيكية، ونقد النفعية من أجل إقامة نظريته الجديدة المتعلقة بتأسيس عالم الفضيلة، والسعادة الإيثارية الغيرية المرتبطة بالخير الأسمى؛ لأنها نظرية معيارية تبتعد عن قواعد السلوك الأخلاقي السليم، وترتبط بالأنانية الأخلاقية، وقال عنها أيضًا إنها أنانية لن يُكتب لها الحياة، ولا يمكن أن تقوم مطلقًا على أي قواعد أخلاقية، ولا يجب أن نجعل المنفعة الفردية نبراسًا أخلاقيًا لنا في الحياة، (Parfit, 2007,p.31، نقلاً عن معتز أبو الخير،ضد النظرية الأخلاقية النسقية،2018،ص1051). ويأتى ذلك متوافقًا مع نقده للنظريات اللذة والمتعة ونظرية المصلحة الشخصية، لأنهما يبحثان عن السعادة الشخصية للفرد، بصرف النظر عن تأثير تلك النتائج فى الآخرين، لأن شغلهم الشاغل هو اللحظة الآنية الحاضرة، بعيدًا عن الاهتمام بالمستقبل..الخ. (Parfit , 1984, pp.20-24).

علاوة على ذلك فقد اتفق بارفيت مع ويليامز في نقد مبدأ (انفصال الأشخاص) عند النفعية، حيث يرى بارفت أن النفعية لا يمكنها التمييز بين الأشخاص، لأنها تتجاهل توزيع المبادىء بين الأشخاص، وعند نشر مبدأ الاختيار العقلاني في عملية صُنع القرار على المستوى المجتمعي، فإن النفعية تتعامل مع اهتمامات أفراد المجتمع كله على أنها اهتمامات شخصٍ واحدٍ، وبذلك تمزجهم على أنهم شخص واحد (David, 2019, p.31).

على الرغم من تعرض المذهب النفعي للنقد الشديد بداية من الفكر اليونانى وصولًا إلى الفكر المعاصر لكن هذا لا يعني رفضه تمامًا، فهناك كثير من الفلاسفة الذين انتهجوا المذهب النفعي، وطوروه، وكان على رأس هؤلاء الفلاسفة الفيلسوف المعاصر ليسلى ستيفن Leslie stephen(*) الذي يرى أن

(*)- **ديريك نورمان أنتوني بارفت**Parfit Antonye Norman Derek ولد في غرب الصين " كانون الأول/ ديسمبر ١٩٤٢، درس في بريطانيا في مدرسة التنين بأكسفورد من عام ١٩٥٠ إلى عام ١٩٥٦ .ثم مدرسة أينون من ١٩٥٦ إلى عام ١٩٦١.أي أن بارفت تربى في بريطانيا وعاش فيها منذ أن كان طفلاً عمره ثلاث سنوات ، ولأنه ولد في الصين فقد تأثر بالبوذية و الكونفوشيوسيه أشد تأثير، بل أنه تشبع بهما، وحصل على درجة الليسانس في الآداب من قسم التاريخ الحديث جامعة أكسفورد عام ١٩٦٤، لكنه سرعان ما أتجه إلى دراسة الفلسفة عام ١٩٦٥ في جامعة كولومبيا وهارفارد. وعرف في بريطانيا "بأستاذ الفلسفة العالمي الزائر المشهور"، وتخصص في فلسفة الأخلاق والعقل والميتافيزيقا والعلاقة بينهم وبحث في مشكلات الهوية الشخصية والعقلانية والأخلاق التطبيقية والتفكير العلمي ودرس نظرية جون رو لز في العدالة وفلسفة كانط الأخلاقية وقام بمناقشتها في كتابه " تسلق الجبل" و "مقالات دباغه في القيم الإنسانية ، وقدم نظرية موحدة في الأخلاقية هي النظرية الثلاثية. راجع:
CP: Parfi, Derek:(2006), Climbing the Mountain, Oxford university, press, p. 128

(*)- **ليسلى ستيفن**:(1904-1832) ينحدر من عائلة اسكتلندية الأصل. كان ستيفن كاتباً موهوباً متعدد الجوانب إلى حد بعيد، امتزجت كتاباته بالحياة العقلية للعصر الفيكتورى، وكانت له ثمرات فى ميدان الصحافة، وفى كتابة السير، وفى التاريخ الفلسفى والأدبى، والفلسفة المنهجية. وتتضمن اعماله التاريخية والفلسفية مذهب" اللاأدرية"، حيث رفض التألية أو

نظريته الأخلاقية تساير المذهب النفعي كما جاء عند "مل". ورغم هذا التصريح نجد أن هناك أوجه أختلاف بينه وبين المذهب النفعي كما جاء عند "بنتام ومل".

لقد رأى ستيفن أن المعتقدات الأخلاقية ليست نتيجة للحساب النفعي، ولكنها تخضع لمطالب التنظيم الاجتماعي في صراعه من أجل الوجود، لهذا فالحياة الصحيحة للنسق الاجتماعي لابد أن تتوافق مع الشروط التى تحقق السعادة العظمى لأكبر عددٍ من هؤلاء الأفراد الذين هم-خلايا- في النسيج. يرى ستيفن – متجاوزًا المذهب النفعي- ضرورة تحديد علاقة الفرد بالجماعة، فليس الفرد وحدة مستقلة عن الجماعة، ولا الجماعة مجموع أفراد، إن بينهما علاقة عضوية يبدو فيها الفرد معزولاً في نسيج اجتماعي، مما يتعذر معه أن يستهدف غايات شخصية، وبالتالى فإنه يعبر عن مصالح المجتمع. (عبد الرحمن،2002، الصفحات 8-9)

ولذلك فإن معيار الأخلاق ليس تحقيق السعادة الشخصية (كما عند بنتام)، ولا العمل على توفير أكبر قدر من السعادة لأكبر عددٍ من الناس (كما عند مل)، إنما يقوم المعيار الأخلاقى الصحيح في صحة الكائن العضوي الاجتماعى وكفاءته، وبذلك يصبح الفعل الإنسانى خيرًا بمقدار ما يؤدى إلى تقدم حقيقي في حياة الجماعة، ويصبح الهدف الأخير لكل أخلاق هو سلامة النسيج الاجتماعى وكفاءته، وبذلك تتحقق حالة من التوازن الاجتماعى الذى هو هدف الأخلاق بناءً على ماسبق يختلف ستيفن عن المذهب النفعي إلا أنه أفسح مكانًا لمبدأ المنفعة في مذهبه، على أساس كون المنفعة مبدأ للنهوض بالصحة وحفظ الحياة وليست مبدأ لتحقيق اللذة والسعادة فقط (عبدالرحمن، 2002،صفحة 9).

إلا أن التساؤل هنا هو: هل ظل هذا الموقف العدائي الذي اتخذه ويليامز من الفلسفة النفعية وأنصار مذهب المنفعة إلى النهاية؟ أم أن ويليامز لم يستطع أن يتخلص من تراث بلاده، وبالتالي تراجع عن هذا الموقف العدائي؟.

الحقيقة أن رفض ويليامز لمذهب المنفعة يرجع إلى أنه مذهب غير مقنع في نظره من الوجهة النظرية، فضلًا عن أن له نتائج خطيرة من الجهة العملية كما رأينا.

وفي الختام ترى الباحثة أن ويليامز ظل متمسكًا بموقفه العدائي من المذهب النفعي، ولم يتراجع عن موقفه مثلما فعل غيره من الفلاسفة الذين انتقدوا المذهب النفعي، ولكنهم رغم ذلك لم يستطيعوا التخلص تمامًا من أثاره في ثنايا أفكارهم وفلسفاتهم، وكان على رأس هؤلاء الفيلسوف الإنجليزي توماس هل جرين(*) الذي رفض أن تكون اللذة هي الخير الأقصى، مثلما فعل ويليامز في عوامل الجذب النفعية

الاعتقاد فى وجود الله بالطريقة التقليدية التى تعلمها (من المسيحية)، وذلك بسبب رفضه ما يرتبط بالمسيحية من تجاوزات كمذهب الخطيئة الأصلية، ومشكلة الشر التى بدت على أنها مشكلة مستعصية على الحل.وانطلاقاً من اللاأدرية صرح ستيفن بأن الأخلاق لابد أن تؤسس على أسس علمية، ويعنى هذا عدم تجاوزها لنطاق البحث العلمى. تأثر ستيفن بالفكر الإنجليزى السابق عليه. من أهم مؤلفاته: مقالات فى الفكر الحر 1873، وكتاب علم الأخلاق1882، مذهب المنفع العامة(النفعيون الإنجليز)1900، وكتاب هوبز 1904، ودفاع عن اللاأدرية1893...الخ. (عبد الرحمن، 2002، الصفحات3-6).

(*)- **<u>توماس هل جرين: Thomas Hill Green</u>** (1882-1836)ولد جرين فى 7 ابريل عام 1836 فى مقاطعة بركن غرب يوركشاير شمال شرق إنجلترا حالياً. توفي عام 1882. كان من أكثر الشخصيات التى أثرت فى تفكير جرين هو أستاذه بنيامين جويت الذى كان له الفضل إلى لفت انتباهه للفلسفة الألمانية. فكان من أكثر الفلاسفة المتأثرين بالهيجلية وفشته كما أنه قرأ كانط من منظور هيجل. وكان من بين تلاميذه الذين درسوا على يديه وتأثروا به، هربرت برادلى، وبوزانكيت، اللذان كان لهما الفضل فى نشر مؤلفات جرين بعد وفاته، بل والوصول بالمثالية الألمانية إلى أقصى درجات الرقى فى التفكير الفلسفي بصفة عامة والانجليزي بصفة خاصة. فقد كان لجرين الفضل فى نشر الفكر المثالي فى وطن أخر غير ألمانيا يغلق أبوابه فى وجه أى تفكير مختلف، ولاسيما التفكير المثالي الألمانى. ونتيجة لذلك قامت الجرائد الكبيرة بوقف نشر مقالات عن جرين. مما تسبب فى ندرة الكتابات عنه، وعدم توافر الكثير من الكتابات والمراجع، رغم دورة

كنظرية أخلاقية حيث رفض أن تكون السعادة هى الخير الأقصى؛ لأن التوحيد بين الخير واللذة من وجهة نظر جرين سوف ينتهى بنتائج تتعارض مع هذه المقدمة، لأنه إذا سلمنا جدلًا بهذا التوحيد، سوف تكون اللذة هي الموضوع الوحيد لكل فعل إرادي...إلخ. وبالتالي فإن الخير، عند جرين، ليس في المنفعة أو اللذة أو أي شيء أخر مستقل عن الذات الإنسانية(.Green, 1906, p.264).

وبالرغم من هذا الرفض القاطع لمذهب اللذة، يعود جرين ويعترف بالفضل العملي الرفيع الذي أسداه مذهب المنفعة إلى الأخلاق، فهو مع إنكاره قضية مذهب المنفعة القائلة بأن الخير الأسمى هو في تحقيق أكبر قدر ممكن من اللذة، قد أتفق رغم ذلك مع بنتام فى مصادرته القائلة بأكبر قدر من السعادة لأكبر عدد من الناس، وأعتقد أن مذهب المنفعة قد تمكن -بفضل هذا الزعم- من القضاء على الفوارق الطبقية، ومن تنمية الحاسة الاجتماعية، والمساهمة في حل مشكلات الإصلاح الاجتماعي والسياسي بل إنه تخيل صيغة النظرية النفعية خالية من أساسها القائم على فكرة اللذة. (ميتس، 1963، صفحة247).

وذلك على عكس ويليامز الذي ظل موقفه العدائي من المذهب النفعى مسيطرًا عليه طوال حياته، ولم يغير نمط تفكيره، وظل ثابتًا على موقفه وهذا ليس عيبًا، ولكن العيب هو أن يرتدي الفيلسوف نظارة سوداء ولا يرى إلا وجهات نظره فقط، صحيح أن المذهب النفعي له عيوب وقصور، ولكن هذا لايمنع أن له مزايا أيضًا حتى ولو كانت بسيطة من وجهة نظر البعض، ولذلك كان من المفترض على ويليامز أن يتراجع عن موقفه إلى حدٍ ما مثلما فعل جرين أو يقدم البديل في صورة نظرية أو مذهب متكامل الأركان كما فعل غيره من الفلاسفة ولا يأخذ موقف الناقد الهدام فقط تجاه النفعية.

المبحث الثاني: موقف برنارد ويليامز النقدي من الأخلاق الكانطية

أولاً: لمحة سريعة عن فكر كانط الأخلاقي

مما لاشك فيه، أن الأخلاق الكانطية تقف في الطرف المقابل للأخلاق النفعية، فقد جعل كانط من الواجب أساسًا للقيم الأخلاقية، وجعل الأخلاق ساكنة في الشعور والضمير، وأنكر ربط الأخلاق بنتائجها مثلما فعلت النفعية، وبذلك ارتفع بالقيم من المستوى الطبيعى الحسي إلى المستوى الإنسانى العقلى كما سنرى.

لذلك ترى الباحثة ضرورة عرض لمحة سريعة عن مذهب كانط الأخلاقي، ولاسيما في الأفكار التي ينتقدها ويليامز حتى نستطيع معرفة الفرق بينه وبين النفعية، وحتى نستطيع ربط الأفكار مع بعضها البعض، عندما نعرض نقد ويليامز للكانطية.

لقد عرض كانط مذهبه الأخلاقي في كتابين هما "تأسيس ميتافيزيقا الأخلاق" عام ،1785 وكتاب "نقد العقل العملي" عام 1788م، وأراد كانط في كلا الكتابين أن يقيم الأخلاق على مفهومٍ جديد هو مفهوم الواجب اللامشروط، وأنكر ربط الأخلاق بنتائج الأفعال، من لذات والآم، أو منافع ومضار كما فعلت النفعية.

لقد جعل كانط قيمة الأفعال قائمة في باطنها، وليس في الغايات التى تقوم خارجها، ويرى كانط أن الإنسان لا يمكن أن يستغرق حياته في هذا العالم النهائي المحدود أو أن يعيش عبدًا للطبيعة، إنما يرتفع بحياته إلى المستوى الأخلاقي، هذا المستوى الذى يدفعه إلى وضع الواجب في قلبه، ولذلك يقول كانط: "

البارز فى الفلسفة بصفة عامة والمثالية بصفة خاص. ومن أهم كتبه: المؤلفات الفلسفية لديفيد هيوم، وكتاب مقدمة فى علم الأخلاق، محاضرات فى مبادىء الإلزام السياسى.

CP/ Donald M. Borchert, (2006) Encyclopedia of Philosophy, vol.4, 2nd Edition, Thomson Gale, p.178.

Kenneth R. Hoover, (1973), Liberalism and the Idealist Philosophy of Thomas Hill Green, The Western Political Quarterly, Vol. 26, No. 3, p.550.

شيئان يملأن نفسي إعجابًا: السماء المرصعة بالنجوم فوق رأسي، والقانون الأخلاقي في قلبي" (عبدالرحمن، 1992، صفحة 92)

وبناءً على ذلك يجعل كانط من القلب والضمير مقرًا للواجب والقيم الأخلاقية كلها، ولذلك فالأخلاق عنده ليست نسبية أو عرضية، ولكنها مطلقة، وواجباتها ليست فروضًا بل مسلمات، ولأننا كائنات عقلية فنحن أيضًا كائنات قيمية نستطيع أن نكتشف القانون الأخلاقي الذى يصلح لكل الأفراد وفى كل زمان، والواجبات الأخلاقية لا تعتمد على المشاعر أو العواطف بل على العقل، ولهذا فهي غير مشروطة، لكنها عامة وصادقة وضرورية.

يصرح كانط بأن سلوك الإنسان إذا صدر عما بداخله من رغباتٍ، وميولٍ وأهواء، ووجدانات فقدت إرادته استقلالها ووجب أن يستبعد سلوكه من نطاق الأخلاق، ففي مقدمه كتابه" تأسيس ميتافيزيقا الأخلاق" يشير كانط إلى أن مبادىء الأخلاق تُعرف معرفه قبلية سابقة على التجربة؛ لأن التجربة تشهد بما يأتيه الناس بالفعل من تصرفات، لكنها لا تستطيع أن ترقى إلى البرهنة على ما ينبغى أن يفعلوه (عبدالرحمن، 1992، صفحة 93).حيث يقول كانط فى ذلك الصدد: " **إن ميتافيزيقا الأخلاق ضروريةٌ ضرورةً لا غنى عنها، لا عن دافع من دوافعَ التأمل المجرد فحسب يستهدف البحث في مصدر القواعد الأخلاقية الموجودة في عقلنا وجودًا قبليًا، بل لأن الأخلاق نفسها لا تفتأ تتعرض لألوان من الفساد لا حصر لها، ما بقيت مفتقرة إلى ذلك المقياس والمعيار الأعلى الذي لا بُدَّ منه للحكم عليها حكمًا صحيحًا..."** (كانط، 2017، صفحة 22)

ويرى كانط أن الواجب يفرض ذاته على الضمير الأخلاقي قبل أن تسعى الإرادة إلى تحقيقه، ومن هنا كان الواجب القيمة الأخلاقية السابقة على كل القيم الأخرى، والذي يقصده كانط بالقبلية هو صورية هذا الواجب قبل أن يتجسد في أفعالٍ مادية معينة، وهذه الصورة الخالصة والقبلية للواجب هي التى تجعله قيمة كلية تخضع لها الإنسانية كلها (عبدالرحمن، 1992، صفحة 93).

1-الإرادة الخيرة: The Good Will

إن المبدأ الأخلاقي الذي يمكن أن نعتبره بمثابة الدعامة الأساسية لكل سلوكٍ أخلاقىّ هو "الإرادة الخيرة". فقد ذهب كانط إلى أن الإرادة الخيرة هى وحدها الشئ الوحيد الذى يمكن أن نعده خيرًا على الإطلاق . (مبروك، 2011، صفحة 189).

وبناءًا على ذلك يقول كانط في كتابه "تأسيس ميتافيزيقا الأخلاق":

"من بين الأمور التى يمكن تصورها في هذا العالم أو خارجه، أنه لا يوجد شيء يمكن عده خيرًا على الإطلاق ودون قيد، اللهم إلا شيء واحد هو الإرادة الخيرة (كانط، 2017، صفحة 27). كما يقول كانط أيضاً" **إن الإرادة الخيرة لا تكون خيرة بما تحدثه من أثر أو تحرزه من نجاح، لا ولا بصلاحيتها للوصول إلى هذا الهدف أو ذاك، بل إنها تكون كذلك عن طريق فعل الإرادة وحدة، أعنى أنها خيرة فى ذاتها".** (كانط، 2017، صفحة 28).

فالإرادة الخيرة هى الشيء الوحيد الذي يمكن أن يُعد خيرًا فى ذاته؛ لأنها لا تستمد خيريتها من المقاصد التي تحققها أو الغايات التى تعمل من أجلها، بل تستمد خيريتها من باطن ذاتها باعتبارها الشرط الضروري الكافي لكل أخلاقية، فإذا انعدمت الإرادة الطيبة من أى عمل خلقي فإنه يصبح عندئذٍ عديم الصبغة الأخلاقية، ومن ثم فإن الإرادة الخيرة- حتى إذا لم تنجح فى تحقيق ما تريد- فإنها تظل تسطع كجوهرة ثمينة لها قيمتها في ذاتها. (إبراهيم، 1969، صفحة 165).

حيث يقول كانط " إن الإرادة الخيرة سوف تلمع بذاتها لمعان الجوهرة، مثل شيء يحتفظ في نفسه بقيمته، فلا المنفعة تستطيع أن تضيف إلى هذه القيمة شيئًا ولا العُقم يمكنه أن ينقص منها شيئًا". (كانط، 2017، صفحة 28).

لذلك فإن الواجب أو المبدأ الأخلاقي الأسمى- لابد أن يكون قاعدة عامة شاملة لا صلة لها بمتغيرات التجربة، بمعنى أن قيمة الواجب تكمن في طبيعة الواجب، بغض النظر عن أية فائدة أو منفعة أو كسب مادي،ويتسم الواجب بأنه منزه عن كل غرضٍ، بمعنى أنه لا يطلب من أجل تحقيق المنفعة، أو بلوغ السعادة، بل يطلب لذاته، ولابد أن يكون الواجب قاعدة لا مشروطة وضرورية، بمعنى أنه لا سبيل إلى تأسيس الواجب على شيء آخر مادام الواجب هو الدعامة التى يستند إليها كل تقدير عملي وكل حكم أخلاقي لها (عبدالرحمن، 1992، الصفحات 93-94).

2- قواعد الفعل الأخلاقي:

يحدد كانط ثلاث قواعد للأخلاق في صورة أوامر مطلقة هي:

يقول كانط في القاعدة الأولى للأمر الأخلاقي المطلق **"افعل الفعل بحيث يمكن لمُسلَّمة سلوكك أن تُصبح مبدأ تشريع عام" أو بعبارة أدق بحيث تريد لها أن تصبح قانونًا عامًا لجميع الناس** (كانط، 2017، صفحة 10) . لقد اعتبر كانط هذه القاعدة أساس لكل القواعد الأخرى، وهي تعنى أن أساس السلوك الخُلقي يمكن تعميمه، وذلك من غير تناقض، أي أن يكون فعلى قانونًا عامًا، ولا يتعارض في نفس الوقت مع الواقع الخارجي، وإذا كان عكس هذا كان متعارضًا مع القانون الأخلاقي (عبدالرحمن، 1992، صفحة 95)

كما يقول في الصيغة الأخرى:" **افعل الفعل بحيث تعامل الإنسانية في شخصك وفي شخص كل إنسان سواك ِباعتبارها دائمًا، وفي الوقت نفسه غاية في ذاتها، ولا تعاملها أبدًا كما لو كانت مجرد وسيلة"** (كانط، 2017، الصفحات 10-11).

أما القضية الثالثة: وهي بمثابة النتيجة المترتبة على القضيتين السالفتين، فأستطيع أن أعبر عنها على النحو التالي: " الواجب هو ضرورة القيام بالفعل احترامًا للقانون" (كانط، 2017، صفحة 35).

وعندما يقول كانط : إن الإرادة هي المشرعة العامة للقانون فهو يعنى بذلك أن لديها من الاستقلال الذاتي ما يجعل منها إرادة حرة لا تصدر كل أفعالها إلا عن طبيعتها العاقلة (عبدالرحمن، 1992، صفحة 95). ولذلك يرى كانط أن الفعل لا يكون أخلاقيًا- في نظر العقل العملي- ما لم يكن حرًا، أي صادر عن إرادتنا المستقلة غير خاضع لإرادة خارجية (مبروك، 2011، صفحة 193).

بعد أن عرضتُ ملخص لفلسفة كانط الأخلاقية أنتقل إلى موقف ويليامز من هذه الفلسفة لنعرف هل تقبل هذه الآراء أم رفضها برمتها؟.

ثانياً: نقد وتفنيد برنارد ويليامز للمذهب الأخلاقي الكانطي

يرى ويليامز أن مذهب كانط الأخلاقي يمثل صعوبات وغموضًا كبيرًا، لذلك حاول الكشف عن هذا الغموض من خلال نقده لآراء كانط الأخلاقية سواء الآراء الإيجابية أو السلبية التى يشترك فيها مع غيره من الفلاسفة كما سنرى.

1-المشاريع والنزاهة projects and Integrity

أريد أن أوضح منذ البداية أن هناك نوعًا من التشابه الكبير بين نقد ويليامز للنفعية ونقده للكانطية، وذلك باعتراف ويليامز نفسه في بداية مقالته " الأشخاص والشخصية والأخلاق". حيث إن معارضة المذهب النفعي والكانطي يشبهان بعضهما البعض، ولاسيما في افتقارهما الاهتمام بالمشروعات الشخصية للأفراد وغياب قيمة النزاهة (williams, 1981, p. 1).

يركز ويليامز في نقده للكانطية على مجموعة من القضايا سوف نبدأ بأولها وأهمها **وهي فكرة النزاهة وعلاقتها بالمشروعات الأساسية للأفراد،** وهذا يدل على تمسك ويليامز ببعض المبادىء ومحاولة إظهار بعض الفلسفات التى تفتقر إلى هذه السمة.

يرى ويليامز أن المشاريع الفردية شرطًا لوجود الفرد، بمعنى إذا لم يتم دفع المرء إلى الأمام من خلال مجموعة من الرغبات، والمشاريع والاهتمامات، فلماذا يجب أن يستمر على الإطلاق؟ فهذه الادعاءات تؤكد على انفصال الأشخاص، مع تفضيل وجهة النظر الشخصية، مثلما فعلت النفعية سابقًا.

ينتقد ويليامز الكانطية أيضًا في اعتبار الإرادة الخيرة مقياس للقيمة الأخلاقية، والتركيز بشكلٍ مثيرٍ للإعجاب على الفاعل (Jenkins, 2006, p. 57).

إن دعوة ويليامز إلى النزاهة وقدسية وجهة النظر الشخصية، ورفضه للإصرار الكانطي على التجريد من الهوية التي تشكلها المشاريع الشخصية وعلى تبني منظور محايد، يُعد رفضًا عامًا للأخلاق الكانطية بأنه غير مشروطٍ على الرغم من أنه يمكن الحفاظ على خصوصيات المشاريع الشخصية، وبالتالي اللبنات الأساسية للهوية والنزاهة ضمن النظرية الكانطية على الأقل بشرط صياغة مبادئ دقيقة بما فيها الكفاية، فإن التهديد الحقيقي يظهر عندما يتم اعتبار هذه المشاريع غير مسموحٍ بها أخلاقيًا . (Jenkins, 2006, p. 59).

لذلك ينتقد ويليامز مبدأ الإرادة الخيرة التى يعدها كانط خيرًا في ذاتها، والتى بسببها يتخلى الشخص عن مشروعاته الشخصية.

وفي ذلك يقول ويليامز :

(إن الفرد الذى يكون لديه مشروع ذاتي يعبر عنه بشكلٍ كبيرٍ، قد يضطر بسبب النفعية للتخلى عنه، وخاصة إذا كان يتعارض مع ما ينبغى أن يقوم به لزيادة المنفعة غير الشخصية... وهذا بالطبع مطلب غير منطقي، وذلك لأنه عند التمعن في تصرفه هذا نجده غير ملائم، وخاصة مع وجود الصراعات الأخلاقية، والتى تتطلب في النهاية، تبعًا للقيود الحيادية التى تفرضها النظرية أن تنتصر فى النهاية، وهذا ليس مطلبًا عقليًا؛ لأن الفرد يضطر عندئذٍ أن يتخلى عن هدفه الشخصي الذي يستمد منه وجوده..." (williams, 1981, p. 14).

مما سبق فإن ما يقصده ويليامز من خلال النصوص السابقة أن هدف كانط هو التمسك بمبادىءالنظرية الأخلاقية وضرورة أن تنتصر في النهاية مثلما فعلت النفعية سابقًا أي التمسك بمبدأ الواجب، واعتبار الإرادة الخيرة مقياسًا لكل الأفعال الأخلاقية، وبالتالي فقد جعلت الكانطية شغلها الشاغل هو الالتزام بقضايا الواجب الأخلاقي، والأمر المطلق الذى جاءت به بصرف النظر عن الاهتمامات الشخصية للأفراد ومشروعاتهم الشخصية التى يستمدوا منها وجودهم.

ترى الباحثة أن نقد ويليامز لفكرة النزاهة والمشروعية عند كانط ينصب على فكرة الواجب والقواعد التى جاء بها الأمر الأخلاقي عند كانط ولاسيما في القاعدة الأولى والثانية التى تتميز بالتعميم، حيث إن كانط يرى أن الفعل يجب أن يجيء طبقًا لمبدأ الواجب، بمعنى أن الفعل لكي يكون أخلاقيًا عند كانط – يجب أن يكون الباعث عليه هو باعث الواجب فقط، وليس باعثًا آخر أو ميلًا آخر، فقد تستطيع البواعث والميول الأخرى أن تنتج أفعالاً- تكون في صورتها الخارجية مطابقة ومماثلة تمامًا لما ينتجه مبدأ الواجب من الأفعال، ولكن هذه الأفعال- التى قد تستحق منا الثناء والتقدير تخلو من كل مضمون أخلاقي.

وبالتالي فإن هذه الأفعال تخلو من كل قيمة أخلاقية، وذلك لأن الباعث عليها هو باعث آخر غير مبدأ الواجب، مثال ذلك أن الواجب قد يحتم على إنسان غني أن يبني مستشفى لعلاج الفقراء مثلًا، فلو أقام الغني هذه المستشفى بدافع آخر- الشهرة مثلًا أو حتى بدافع ابتغاء ثواب الله أو الخوف من عقابه- فإن هذا الفعل يكون، عند كانط، فعلًا غير أخلاقي رغم أنه يطابق ما يأمر به الواجب، وهذا الفعل عنده هو فعل غير أخلاقي؛ لأن الدافع إليه ليس مبدأ الواجب وإنما دافع آخر (حباتر، 1996، صفحة 122).

وهذا ما يرفضه ويليامز عند كانط، وذلك لأن الفرد لابد أن يكون لدية مجموعة من المشاريع التى تدفعه للأمام سواء كانت هذه المشاريع رغبة، أو طموح، أو الأسرة، أو عمل، أو أصدقاء...إلخ . لكن طبقاً لكانط لابد أن تكون جميع أفعالنا الباعث عليها هو الواجب فقط، فمثلاً أنا أحب إحدى صديقاتي لأنها تشبهني في كثير من السمات الشخصية ووجهات النظر متقاربه بينا، كما أننا أصدقاء منذ الصغر لذلك فأنا أحبها، فهذا الفعل من وجهة نظر كانط غير أخلاقي؛ لأن الدافع هنا دافع آخر غير مبدأ الواجب.

وبناءًا على ما سبق فإن بربارا هيرمان **Barbara Herman**(1945-) * تتفق مع ويليامز في ذلك، وتعترف بأن ويليامز لم يخطئ في قراءة الأخلاق الكانطية هنا؛ لأن الأخلاق الكانطية تنطوي على شرط أن يكون المرء مستعدًا لترك أعمق مشاريعه، مما يترتب عليه أن الفاعل الأخلاقي الملتزم بالأخلاق بهذه الطريقة سيهدد سلامته كشخص... ولكي تحترم الأخلاق شروط الشخصية (نزاهة الفرد كشخص)، يجب أن تحترم ارتباطات الشخص بمشاريعه بطريقة تسمح لأفعاله أن تكون تعبيرًا عن تلك الارتباطات (Herman, 1993, p. 39).

ويتضح مما سبق كيفية إهمال الكانطية لمشاريع الفرد الذاتية ومتطلباته ونزاهته والإفراط فى الاهتمام بالجانب اللاشخصي وفي ذلك يقول ويليامز:

"إن اهتمام الفرد بأن تتحقق شخصيته، يجعله لا يصمد أمام إهمال الكانطيين للشخصية بسبب إصرارهم الشديد على مطالب الحيادية في النظرية الأخلاقية، مما يبرر القول بأن رؤيتهم للفرد غير ملائمة" (williams, 1981, p. 14).

مما سبق يمكن القول إن ويليامز يرفض إهمال المذهب الأخلاقي الكانطي للمشروعات الشخصية للأفراد، والذي يتسبب في فقد هويتهم ونزاهتهم وشعورهم بالاغتراب، وهو ما لاحظته بربارا هيرمان ورأت أن ويليامز قد أصاب في نقده للكانطية في هذه النقطة، وهو ما يعده ويليامز أحد عيوب وقيود النظرية الأخلاقية، الذي ظهر باستفاضة في نقده للكانطية والنفعية، كما نجد أيضًا الفيلسوفة المعاصرة

* – **بربارا هيرمان**:(1945–) فيلسوفة أمريكية ولدت فى مايو 1945، درست فى جامعة كورنيل وجامعة هارفارد، حصلت على زمالة الأكاديمية الأمريكية للفنون والعلوم، وهى أستاذ الفلسفة والقانون بجامعة كاليفورنيا. وهى مترجم معروف لأخلاقيات كانط، وتهتم بوجه خاص بالكتابة فى الفلسفات الأخلاقية، وتاريخ الأخلاق ، والفلسفة الاجتماعية السياسية. من أهم مؤلفاتها : "كتاب الممارسة العملية فى الحكم الأخلاقى، وكتاب محو الأمية الأخلاقية (moral literacy) وكتاب الأخلاق باعتبارها العقلانية (Morality as Rationality).الخ.
(https://en.wikipedia.org/wiki/Barbara_Herman تاريخ الدخول 2023/2/10)

سوزان وولف**Susan Wolf**(1952-) ** التى أيدت آراء ويليامز بقوة فى كتابها (القديسين الأخلاقيين) Moral saints، حيث انتقدت النظرية الأخلاقية الكانطية في هيمنة إلزاماتها ومثاليتها المفرطة المقدسة، لأنها تمثل قوة قمع لحياتنا، مما يشعرنا بالاغتراب عن أنفسنا وهويتنا وتدمير لمشروعتنا الأساسية".(Wolf, 1982, p. 1103 نقلاً عن معتز أبو الخير، ضد النظرية الأخلاقية النسقية، 2018، ص1103 بتصرف).

2-العواطف: emotions

يواصل ويليامز هجومه على كانط؛ وذلك لأنه أهمل دور العواطف، ولم يتوقف عندها كثيرًا.

يعتقد ويليامز أن أي تفسير منهجي للأخلاق لايعترف بالدور المهم الذي تلعبه العواطف في أفكارنا عن الحياة الجيدة، والأفعال الصحيحة، يؤدي حتمًا إلى انتقاد هذا المذهب (Jenkins, 2006, pp. 60-61) .

لذلك يرى ويليامز أنه قد حان الوقت لمواجهة كانط؛ لأنه أغفل دور المشاعر والعواطف في الأخلاق فعلى الرغم من أن كانط هو المنصة الرئيسية للنظام الأخلاقي، لأنه يؤيد مفهوم الحياة الأخلاقية الخالية من المشاعر، وأيضًا الحياة الأخلاقية المحصنة ضد الحظ، حيث دفعت هذه المفاهيم بعض المتطرفون الذين لاينافس عبثيتهم، وفقاً لويليامز، تأييد هذه المفاهيم من خلال تبريراتهم الميتافيزيقية المزعومة (Jenkins, 2006, p. 61). لكن ذلك لم يمنع ويليامز من توجيه سهام النقد له.

ما هي الأسس التي نستند إليها لإنكار علاقة العواطف بالرفاهية الأخلاقية

يقول كانط في كتابه " تأسيس ميتافيزيقا الأخلاق" : **" إن الفعل الذى يصدر عن خوف أو ميل لا ينطوى على أي قيمة أخلاقية، بل الاحترام الواجب في حق القانون هو وحده الدافع القادر على إعطاء الفعل قيمة أخلاقية"** (كانط، 2017، صفحة 83).

كما يقول كانط أيضًا في سياق آخر:**" كل العناصر التجريبية إذن لا تصلح أبدًا أن تكون عاملًا مكملاً لمبدأ الأخلاق فحسب، بل إنها ضارة أشد الضرر بنقاء الأخلاق ذاتها؛ حيث نجد إن القيمة الحقة للإرادة الطيبة طيبة مطبَّقة تلك القيمة التي لا يعدلها في سموها شيء، إنما تكمن على وجه التحديد في طيبةٌ استقلال مبدأ الفعل عن كل التأثيرات التي تأتي من جانب المبادىء العرضية، وهي المبادىء الوحيدة التي تستطيع التجربة تقديمها".** (كانط، 2017، صفحة 67).

مما سبق يمكن القول أن كانط يؤكد على أن الفعل الذى يصدر عن أي عاطفة، أو رغبة، أو شعور، أو أي عناصر تجريبية لا يصلح أن يكون مصدرًا للأخلاق، ولا ينطوي على أية قيمة أخلاقية؛ لأنها ضارة بنقاء الأخلاق. وهذا ما يرفضه ويليامز.

**- سوزان وولف: (1952-) تعمل سوزان وولف بشكل رئيسي في الأخلاق وعلاقاتها الوثيقة بفلسفة العقل وفلسفة العمل والفلسفة السياسية وعلم الجمال. تتنوع اهتماماتها على نطاق واسع حول علم النفس الأخلاقي، ونظرية القيمة ، والأخلاق المعيارية. حصلت سوزان وولف على درجة البكالوريوس من جامعة ييل في الفلسفة والرياضيات في عام 1974، ثم حصلت على دكتوراه في الفلسفة في عام 1978 من جامعة برينستون. كان مستشار أطروحتها هو توماس ناجل. بدأت سوزان بعد الانتهاء من الدكتوراه تعليمها المهني في جامعة هارفارد. وفي عام 1981 انتقلت إلى منصب في جامعة ميريلاند. ودرّست من عام 1986 إلى عام 2002 في جامعة جونز هوبكنز، حيث أصبحت رئيسة قسم الفلسفة. وانتقلت إلى منصبها الحالي كأستاذة متميزة في جامعة نورث كارولينا في تشابل هيل في عام 2002. لها العديد من المؤلفات منها الحرية داخل العقل- القديسون الأخلاقيون. وأيضا كتاب أهمية الإرادة الحرة .الخ . للإطلاع على السيرة الذاتية كاملة أنظر إلى :

CP: https://philosophy.unc.edu/people/susan-wolf/

من خلال قراءة ويليامز لكانط فإن هناك ثلاث ملاحظات جديرة بالاعتراض على فكرة إن أي فعل يحكمه رجل عاطفي لا يمكن أن يسهم في تقييمنا له كعاملٍ أخلاقي -أو أن يكون له مساهمة، كما قال كانط، في قيمته الأخلاقية. أولاً؛ لأن المشاعر "متقلبة" للغاية بحيث لايمكن استخدامها كدليلٍ موثوق للسلوك الأخلاقي في الأساس، يذهب هذا الاعتراض إلى أن الأفعال التي توجهها المشاعر غير عقلانية في الأساس، ويجب تمييزها عن الأفعال العقلانية التي تتم وفقًا لمبدأ حازم، وهذا يُعد رفضًا صريحًا لكانط لدور العواطف وهو ما يعتبره ويليامز غرابة أخلاقية ، حيث يجادل ويليامز بأن انتقال المشاعر إلى الحياة الأخلاقية لايجب أن يكون شيئًا مما قاله كانط، لأن وجهة نظر كانط للعاطفة خاطئة بالتأكيد.

ثانيًا: يرى كانط أن العواطف غير عقلانية، وغير مؤهلة لأن تكون دليلًا للفعل الأخلاقي، وبناءً على ذلك، يجب أن يكون الفعل الأخلاقي مستقلاً عن العواطف .

ثالثاً: يرى كانط نظرًا لأن الناس يختلفون بشكلٍ طبيعيّ في تكوينهم العاطفي، فسيكون من الخطأ بناء القيمة الأخلاقية على هذه السمات الموزعة صدفة للشخصية، لأن هذا على حد تعبير ويليامز، سيكون غير متوافق منطقيًا مع فكر كانط الأخلاقي .(Jenkins, 2006, pp. 62-63)

لذلك يرى ويليامز أنه من الضروري هنا أن نضع في الاعتبار حقيقتين عن كانط، الحقيقة الأولى: هو أن عمله ينطوي على فصل القيمة الأخلاقية عن أي ميزة طبيعية على الإطلاق، والتي يسعى كانط إليها باستمرار، وتؤدي إلى استنتاج مفاده أن مصدر الفكر والفعل الأخلاقيين يجب أن يكون موجودًا خارج الذات المشروطة تجريبيًا.

الحقيقة الثانية هي أن عمل كانط في هذا الصدد يُعد فشلًا ذريعًا، ذلك أن التسلسل النفسي التجاوزي الذي يؤدي إليه خاطئًا بالتأكيد، فلايمكن لأي خاصية بشرية أن تفلت من كونها خاصية تجريبية تخضع للظروف التجريبية والتاريخ النفسي والاختلاف الفردي، سواء كانت حساسية أو إصرارًا أو شعورًا متعاطفًا أو قوة الإرادة (Jenkins, 2006, p. 65).

الخلاصة أن ويليامز يرفض تمسك كانط الصارم للأفعال التى يتم القيام بها بناءً على مبدأ الواجب، والتي تتوافق مع المبدأ العقلاني، بعيدًا عن أي دافع آخر عاطفي (Jenkins, 2006, p. 65).

بالنسبة لمكانة الاستجابة العاطفية في السلوك الأخلاقي البشري، فإن كانط على عكس ويليامز لم يسمح بالتأكيد أبدًا بأن " الفعل المحكوم عاطفيًا" يُشكل القيمة الأخلاقية للفاعلين، لكنه على العكس من ذلك يجب أن يحكم الفعل بعقلانية إذا كان يمتلك قيمة أخلاقية؛ أي أن جميع الأفعال التى يحددها الميل- مهما كانت ودية- تفتقر إلى القيمة الأخلاقية الحقيقية (Thomas, 2007, p. 117). لكن ويليامز قد أشاد بالدور الذى تلعبه العواطف في الأخلاق، وكان يردد صدى ديفيد هيوم Devid Hume(1711-1776) بأن العقل لاينبغي له إلا أن يكون عبدًا للعواطف، ولا يمكنه أبدًا التظاهر بأي منصبٍ آخر غير خدمتها وطاعتها... (Thomas, 2007, p. 109).

لقد تأثر ويليامز بعبارة ديفيد هيوم الشائعة والتى أُسيء فيها فهم ديفيد هيوم" بأن العقل وحده لا يمكنه، بحال من الأحوال، أن يؤثر في الأفعال، وأنه عبد العواطف، ومن ثم لا يمكنه أن يدعي لنفسه أية مكانة غير أن يكون خادمًا لهذه العواطف ومطيعًا لها، وأنه إذا كان كذلك، فلا جدوى من القول بإن الأخلاق يمكن اكتشافها بالاستدلال العقلي وحده" (مدين، 2008، صفحة 7)*.

*- يمكن القول أن ويليامز قد وقع فى خطأ كبير فى إساءته فهم بعض نصوص هيوم. صحيح أن هيوم قد أكد على دور العواطف والمشاعر والانفعالات لكنه لم يلغ دور العقل تماماً كما فهم ويليامز، ولكنه كان يوازن بين العقل والعاطفة وتكون الصدارة للعاطفة عنده. كما يمكن القول أيضاً أن ويليامز قد فهم بعض نصوص كانط خطأ أيضاً. فعلى الرغم من أن كانط

مما سبق ترى الباحثة أن ويليامز قد حالفه الصواب في نقده للأخلاق الكانطية في تهميشها دور العواطف؛ وذلك لأن العواطف لها دورٌ فعالٌ فى اختياراتنا واستجابتنا الأخلاقية، وبالتالي لا غنى عنها، لكن هذا لا يعني تهميش دور العقل؛ لأن العقل أيضًا له دورٌ فعالٌ في اختياراتنا وأفعالنا الأخلاقية، ولذلك لابد من التوسط فلا يجب أن نلغي دور العواطف تمامًا كما قال كانط، وكذلك لا يجب أن نلغي دور العقل والاعتماد على العواطف فقط، كما قال ويليامز، ولكن لابد من الاعتماد عليهما معًا في اختياراتنا الأخلاقية.

أو كما قال ليسلى ستيفن Lesile Stephen(1902 -1832) لابد من التأكيد على دور العاطفة من ناحية، ودور العقل من ناحية أخرى؛ وذلك لأن الحكم على السلوك بالعاطفة وحدها أو العقل فقط خاطىء، لأن السلوك السليم هو الذى يتضمن توافق الوسائل مع الغايات، لابد أن يوجد علاقة تلازم بين الذاتي والموضوعي، بين العاطفة والعقل، فالعقل بلا عاطفة سيكون مجرد كيانٍ فارغٍ، أى شكلٍ بلا مضمون.

(عبدالرحمن، 2002، صفحة2022).

3- (فكرة واحدة تعنى الكثير) One thought too many

إذا كان اعتراض ويليامز على النزاهة يركز على الخطر الذي تشكله النظرية الأخلاقية من حيث الاغتراب عن أنفسنا، وعن المشاريع والالتزامات التى تحدد شخصياتنا، فإن مناقشته القصيرة لمقطع في نهاية مقال "الأشخاص والشخصية والأخلاق"، يُسلط الضوء على خطر مشابه، يمثل الآن من حيث الاغتراب عن الآخرين، أولئك الذين نجد أنفسنا معهم بعمق، مثال على ذلك لنفترض، كما تقول القصة، أن السفينة تغرق، ويمكن للرجل بنفس الجهد المبذول إنقاذ شخصٍ واحدٍ فقط من شخصين، إحداهما زوجته يقترح ويليامز أن المنظرين الأخلاقيين سيبحثون عن مبرر لعمل الرجل، ربما يستدعي النفعي عواقب زيادة الرفاهية لتفضيل الأزواج على الغرباء، من ناحية أخرى قد يدعي الكانطي أن فعل إنقاذ الزوجة في مثل هذه الظروف محكومًا أخلاقيًا بحتميةٍ قاطعة (Thomas, 2007, p. 65).

لكن بالنسبة لويليامز، فإن أي تبرير من هذا القبيل يقدم (فكرة واحدة تعنى الكثير) بمعنى بدلًا من اللجوء إلى المبدأ المجرد، يقترح ويليامز أنه "ربما كان يأمل البعض (على سبيل المثال، زوجته) أن يكون فكرة الدافع، هو التفكير في أنها كانت زوجته، وأنه في مواقف من هذا النوع يجوز إنقاذ الزوجة، على الرغم من ملاحظة "مارسيا بارون" * التي أشارت إلى أن آمال الزوجة في هذه الحالة ذات صلة

كان فيلسوف مثالياً عقلياً لكنه لم يرفض العواطف تماماً كما قال ويليامز بل جعل الصدارة للعقل فى مذهبة الأخلاقى والدليل على ذلك مقولة كانط الشهيرة التى تأثر فيها بهيوم لقد أيقظنى من ثباتى العميق..أى أن هيوم جعله يدرك أهمية العاطفة والشعور..الخ.

*-**مارسيا بارون**Marcia Baron : (1955+)هي أستاذة الفلسفة في جامعة إنديانا بلومينغتون، حصلت على الماجستير عام1978، كما حصلت على الدكتوراة عام 1982 من جامعة نورث كارولينا .تشمل اهتماماتها البحثية الرئيسية الفلسفة الأخلاقية وعلم النفس الأخلاقي، والقضايا الفلسفية في القانون الجنائي. عملت محررًا مشاركًا في مجلة إنكوايري الأكاديمية، وعضواً في هيئة تحرير الموسوعة الدولية للأخلاقيات، والهيئة الأميركية الشمالية لدراسات كانط عن الفلسفة. تشمل الموضوعات التي كتبت عنها الحياد الأخلاقى، والصراعات الظاهرة بين الولاء والوطنية، والصداقة والحب والنزاهة. الاغتصاب والرضا الجنسي؛ التبريرات والأعذار. الأهمية الأخلاقية للمظاهر، وأخلاق الفضيلة. كما أنها مهتمة بتاريخ الأخلاق أيضاً، وقد كتبت على نطاق واسع عن أخلاقيات كانط وهيوم ؛ كما أنها مهتمة بالليبرالية والفلسفة السياسية بشكل عام.

Marcia Baron: Curriculum Vitae, December,2012, p.1-5.

أخلاقية مشكوكًا فيها، فقد وجد ويليامز بوضوح خطوات لتبرير الفعل بشكلٍ غير متحيز -على سبيل المثال، من خلال صياغة مبدأ يجب بموجبه على أي زوج في ظروف مماثلة أن يختار زوجته بدلًا من أي شخصٍ آخر –غير منطقية، لكنها نموذجية، وحتى نهائية، بالنسبة للنظرية الكانطية.

يختم ويليامز نقاشه بملاحظة أنه في مكان ما (وإن لم يكن في هذه الحالة ...) يصل المرء إلى ضرورة أن أشياء مثل الارتباطات العميقة بأشخاص آخرين سوف تعبر عن نفسها في العالم بطرق لايمكن في نفس الوقت تجسيد الحياد (Thomas, 2007, pp. 65-66).

ويحاول ويليامز من خلال هذا المثال الكشف عن التوتر الناتج عن الممارسة التي قد تتعارض مع النظرية الأخلاقية ذات القانون الثابت الذي لايتغير (مثل الكانطية). ويظهر فى هذا المثال أنه من المقبول أخلاقيًا إنقاذ الرجل زوجته بغض النظر عن المكانة التى يمثلها الشخص الآخرــ والتي قد تكون عالمًا كبيرًا ومرموقًا وإنقاذه ضروريًا للمجتمع، فالنظرية تقدم للفرد فكرة واحدة ثابتة في كل مرة، وليس حبه لزوجته هو المحفز له. (williams, 1981, p. 18).

الخلاصة يرى ويليامز أن هناك بعض الحالات مثل (العلاقات الشخصية) لا يمكن تجاهلها أو تبريرها؛ لأن هذه الحالات ترتبط ارتباطًا وثيقًا بالعواطف التى تتجاهلها الكانطية، وهذه الحالات هي في علاقتنا مع الأخرين، الذين نجد أنفسنا نتعامل معهم بعمق، ولذلك فإن هذه الحالات لو تمَّ إهمالها وتجاهلها سوف نشعر بنوع من الاغتراب عن أنفسنا ومشاعرنا.

مما سبق ترى الباحثة أن كانط قد حالفة الصواب فى هذا الفكرة رغم أن ويليامز ينتقده في هذه الجزئية، وذلك لأنه يجب فى هذه الحالات اختيار الزوجة بصرف النظر عن أى اعتبارات أخرى، لأن ذلك من منبع الواجب أولًا؛ لأنها بمثابة النصف الآخر للرجل وأم أولاده فواجبه يحتم عليه اختيارها.

كما أن ويليامز قد حالفه الصواب في هذا الصدد أيضًا، وهو اختيار الزوجة من ناحية دافع العاطفة، وذلك لأنه لو لم يختر الزوجة سوف نشعر بنوع من الضيق والضجر؛ لأننا أهملنا مشاعرنا وعواطفنا جانبًا، وهو ما يرفضه ويليامز، وبالتالي أرى أن كلًا من كانط وويليامز على صواب، ولاسيما فى هذه الجزئية، وذلك لأن النتيجة واحدة عند كلٍ منهما، وأن اختلفت طريقة كلٍ منهما في الوصول إليها، فقد تعددت الأسباب والنتيجة واحدة.

وبناءً على ما سبق يتضح أن ويليامز لم يكن متشككًا في الفكر الأخلاقي بصفة عامة بالمعنى الذي يتبادر إلى الذهن عند قراءة مؤلفات ويليامز لأول مرة، ولكنه كان يرفض تجاهل الفكر الأخلاقي القيمي الربط بيننا وبين أفعالنا، ومطالبنا، ورغباتنا، واهتماماتنا، واحتياجاتنا وحياة الآخرين... (Williams, 1985, p. 12).

تلخص بربارا هيرمان**Barbara Herman**(1945-) أسباب نقد ويليامز للكانطية في كتابها (الممارسة العملية للحكم الأخلاقي) حيث ترى أن ويليامز يأخذ على عاتقه مسئولية إساءة فهم كانط، فهناك مجموعة من التحديات تعتبرها ثلاثة في الأساس في نقده لكانط وهي:

للإطلاع على السيرة الذاتية كاملة أنظر إلى:
https://web.archive.org/web/20160304081046/http://www.indiana.edu/~phil/people/baron.pdf

أولًا: يرى ويليامز أن الأخلاق الكانطية تُصر على الهيمنة حتى على مشاريعنا الأساسية والتزاماتنا الحميمة، ويظهر ذلك في اعتراض ويليامز على النزاهة عند الكانطية .

ثانيًا: الأخلاق الكانطية تؤدي إلى الاغتراب عن عواطفنا وتقليل قيمتها، ولاسيما في رفض العواطف كدوافع ذات قيمة أخلاقية، فقد ظهر هذا النقد في البداية في إحدى أوراق ويليامز الأولى المنشورة، "الأخلاق والعواطف".

ثالثًا: الصيغة المعروفة (فكرة واحدة تعني الكثير) التي جاءت في مقالة ويليامز " الأشخاص والشخصية" (Herman, 1993, p. 24). حاولت بربارا هيرمان أن تلخص أسباب نقد ويليامز للأخلاق الكانطية لكنها أغفلت نقده للقانون والإلزام والضرورة العملية كما سنرى.

4- القانون والإلزام الأخلاقي:

لم يتوقف ويليامز في نقده وتفنيده للأخلاق الكانطية عند هذا الحد، ولكن امتد نقده أيضًا إلى فكرة القانون والإلزام الخلقي أي مبدأ الواجب .

يقول كانط في كتابه تأسيس ميتافيزيقا الأخلاق: **" إن كل إنسان لا بد أن يُسلِّم بأن قانونًا يُراد له أن يكون قانونًا أخلاقيًا أعني قاعدة التزام، لابد أن يحمل طابع الضرورة المطلقة، وأن الوصية التي تقول: ينبغي عليك ألا تكذب؛ لا يمكن أن تكون صلاحيتها مقصورةً على بني الإنسان وحدهم بحيث لا يكون لغيرهم من الكائنات العاقلة بها شأن، وهكذا الأمر مع كل القوانين الأخلاقية الأخرى، وفضلًا عن ذلك فإن قاعدة الإلزام هنا لا ينبغي أن تُلتمس في طبيعة الإنسان ولا في ظروف العالم الذي وضع فيه، بل لابد من البحث عنها بطريقةٍ قبلية في تصورات العقل الخالص وحدها..."** (كانط، 2017، الصفحات 21-22).

إذن فإن الجدارة الخلقية عند كانط تتوقف على ذلك الفاعل الأخلاقي الذي يقهر نفسه، وينظم سلوكه لا بقصد الحصول على لذة أو منفعة بل مجرد احترام القانون الأخلاقي، فالذي يؤدي واجبه يجب أن يكون وليد احترامه للواجب نفسه وللقانون الأخلاقي بوصفه قانونًا عقليًا كليًا أوليًا ضروريًا . (عبده، 1999، الصفحات 63-64).

وفي ذلك يقول كانط: **" إن القانون المجرد في ذاته هو وحده الذي يمكن أن يكون موضوعًا للاحترام، وبالتالي أمرًا أخلاقيًا، فإذا كان على فعلٍ من الأفعال تم بباعث من الواجب أن يستبعد كل أثر للعميل ومعه كل موضوع من موضوعات الإرادة، فسوف لا يبقى شيء مما يمكن أن يُحدد الإرادة إلا أن يكون من الناحية الموضوعية هو "القانون"، ومن الناحية الذاتية الاحترام الخالص لهذا القانون العملي، وبالتالي لن يبق إلا المسلمة التى تأمرني باتِّباع مثل هذا القانون، حتى لو أدى ذلك إلى التخلي عن جميع النزعات والميول التي أحملها في نفسي** (كانط، 2017، صفحة 36).

يرى ويليامز أن قوة القانون الأخلاقي، وفقًا لكانط لا تكذب، ولايمكن تصورها في أي شيء خارج الذات تكمن قوته في أساسه الموضوعي، ولا يمكن لأي تجربة أن تعبر عنه، لأنه صوري محض سابق على التجربة، وبناءً على ذلك فإن متطلبات العقل العملي لم تتحقق إلا من خلال عيش حياة تلعب فيها الاعتبارات الأخلاقية دورٌ أساسيٌّ ومميزٌ ؛...وبناءً على افتراضات كانط، كيف يمكن للمرء أن يفهم على الأقل ما هو الإحساس باحترام القانون، وكيف لا أفقد احترامي له؟ وذلك لأنه قانون صوري سابق على التجربة (Williams, 1985, p. 190).

يرى ويليامز أن هناك معنى واحد يتم فيه تمثيل القانون بشكلٍ صحيح من خلال خروجه عن التجربة، إنه موجود بشكل متساوٍ في الأشخاص الآخرين، ولأنه يفرض نفسه بعقلانية من قبل كل منهم، فهو قانون حقيقي (من وجهة نظر كانط (Williams, 1985, pp. 190-191).

ولذلك فإن القانون الأخلاقي عند كانط يقوم على تصورات العقل الخالص، وليس له علاقة بالتجربة كما أنه مرتبط بفكرة الإلتزام وهو ما يرفضه ويليامز.

يضرب لنا كانط مثال على ذلك بالسرقة قائلاً : إن القانون يأمرنا بالمحافظة على ملكية الآخرين، ومادام المرء لا يسرق، ولا يعتدي على أملاك الغير، فهو يعمل وفقًا لما يقضي به القانون، ولكن الذى يمتنع عن السرقة قد يصدر في امتناعه هذا عن بواعث متباينة كالخوف من العقاب أو خشية الله، أو احترام الرأى العام، أو الخوف من تأنيب الضمير، إلخ فى كل هذه الحالات لا يُعد الامتناع عن السرقة فعلاً خُلقيًا بمعنى الكلمة، لكن الذي يقول" إن واجبى يقضي علي بعدم السرقة، فأنا لا أسرق احترامًا للواجب والعقل" فهذا وحده هو الذى يُعد فاعلًا أخلاقيًا، كما أن الفعل الذى صدر عنه بحق يعتبر فعلًا خلقيًا. (إبراهيم، 1969، صفحة168).

ومن خلال هذا المثال يتضح مدى صرامة مبدأ الواجب والقانون عند كانط الذي يقتضي ضرورة اتباعه في كل الحالات بصرف النظر عن أى اعتبارات أخرى، وهو ما يرفضه ويليامز.

مما سبق على الرغم من نقد ويليامز لفكرة القانون الأخلاقي عند كانط الذي سبقه فيه آخرون، و يجب أن نطيعه طاعة عمياء، وما جعل ويليامز يتساءل ماهو الإحساس باحترام القانون؟ وكيف لا أفقد احترامي له؟ فهو هنا يريد أن يتساءل ما هو القانون أولًا حتى أستطيع أن احترمه ولا أفقد احترامي له، فالقانون يجب أن يخضع للتجربة المعيشة حتى نستطيع أن نشعر به، ومن ثم يرى ويليامز أنه لابد من أن تخضع النظريات الأخلاقية للمواقف الأخلاقية ذاتها، أي تخضع للتجربة المعيشة، **حيث يقول ويليامز في هذا الصدد: " في هذا النوع من المواقف الأخلاقية... فإن النظرية المنطقية والسيمانطقية ينبغي أن تخضع للتجربة المعيشة، ولشعور الفرد ذاته صاحب التجربة"** (williams, 1981, p. 75)**.**

إذن يتضح مما سبق إن الأخلاق الكانطية تتسم بالطابع الإلزامى، أو الأمر الخلقي اللامشروط؛ لأنه يخضع للعقل وتكون قبلية سابقة على التجربة، أما ويليامز فيرى أن النظريات الأخلاقية يجب أن تخضع للتجربة المعيشة والعاطفة والشعور، وبالرغم من ذلك فإن هذا النقد الذي وجهه ويليامز لكانط لا يعفيه هو أيضا من النقد، وذلك لأن الفرد أحيانًا قد يُسيء فهم التجربة، ويسيء وصفها لأنها نسبية تختلف من شخصٍ لآخر، ومن وقت لآخر.

مما هو جدير بالذكر حقًا، أن ويليامز لم يكن الفيلسوف الوحيد الذى نقد كانط في هذه الجزئية، ولكن سبقه في ذلك فلاسفة آخرون منهم على سبيل المثال لا الحصر الفيلسوف "شوبنهور"، الذى اعترض على القانون الأخلاقي ومبدأ الواجب عند كانط، حيث يرى أن الخطأ الأصلي الذي وقع فيه كانط هو أنه ظن أن في وسعه تأسيس الأخلاق كلها على أسسٍ صورية أولية سابقة على التجربة، وهذا ما جعله يؤكد أن القانون الأخلاقي لا ينصب على مادة الأفعال بل على صورتها فقط. (إبراهيم،1969، الصفحات 179 -180).

كما يمضي شوبنهور في نقده للأمر المطلق عند كانط، فيرى أن هذا الأمر لايمكن أن يتخذ صورة قانون عام ينطبق على جميع الظروف والأحوال... فهو شأنه في ذلك شأن الطبيب الذي وجد أن دواءًا معينًا قد حقق نتائج سارة ناجحة، فيحاول أن يتخذه علاجًا لجميع الأمراض.(حباتر،1996، 151).

كما ينتقد فريدريش شيللر فكرة الواجب عند كانط قائلاً:" **فكرة الواجب في فلسفة كانط الأخلاقية تتميز بصلابة تفزع منها جميع العواطف الرقيقة، وقد تغري ضعاف الفهم في سهولة على أن يبحثوا عن الكمال الأخلاقي في زهد الرهبان".** (كانط،2017،صفحة12).

مما سبق فإن كانط قد انتقل من تمجيد الإرادة الخيرة التى " تتلألأ من تلقاء نفسها وذاتها مثل الجوهرة" في تأسيس ميتافيزيقا الأخلاق إلى احترام القانون، القانون الكلي الصادق بالنسبة لكل الكائنات العاقلة، وهكذا انتهى إلى شكلية تامة، وقانونية جوفاء لا تحسب حسابًا للنتائج العملية، ولا ترضى الميول والنوازع الطبيعية، وتأمر بإطاعة القانون الأخلاقي القبلي الكلي بما هو كذلك بغض النظر عن كل ما ينتج عن ذلك من نتائج" (بدوى، 1979، الصفحات 59-60).

هناك سؤال يطرح نفسه، هل توقف ويليامز فى نقده للمذهب الكانطى عند هذا الحد؟ الإجابة لا، لأنه يواصل هجومه من خلال فكرة الضرورة العملية.

5- الضرورة العملية practical necessity

يذهب كانط فى كتابه" تأسيس ميتافيزيقا الأخلاق" إلى أن الضرورة العملية يجب أن تكون مرتبطة بمبدأ الواجب والالتزام وأن تكون غير مشروطة سواء برغبة أو شعور أو عاطفة وفي هذا الصدد يقول:

" إن الضرورة العملية التي تقضي بالسلوك طبقًا لهذا المبدأ، أي طبقًا للواجب، لا تقوم البتة على العواطف والدوافع والميول، بل تقوم فحسب على علاقة الكائنات العاقلة بعضها ببعض، حيث ينبغي دائمًا أن تَعد إرادة الكائن العاقل في نفس الوقت (إرادة مشروعة): إذ لو كان الأمر على خلاف ذلك لَتعذَّر على الكائن العاقل أن يَتصور أنه غايةٌ في ذاته" (كانط، 2017، صفحة 76).

إذن يربط كانط بين الضرورة العملية والالتزام الأخلاقي، وبذلك يصبح الفرد الخُلقى الكانطي هو فرد تحكمه المفاهيم الخاصة بما ينبغى فعله. (Williams, 1985, p. 188).

يرى ويليامز أن الضرورة العملية أحد العناصر التي دخلت في فكرة الالتزام الأخلاقي عند كانط، ومع ذلك فإن الضرورة العملية -حتى عندما تكون متأصلة في أسباب أخلاقية- لا تشير بالضرورة إلى وجود التزام، قد لا يرتبط مسار العمل الذي "يجب "على الفاعل اتخاذه بتوقعات الآخرين، أو باللوم على الفشل إن الأفعال البارزة أخلاقيًا أو ربما البطولية لكونها أكثر من التزامات، ليست واجبة، ولايمكن أن يُطلب منا عادة القيام بها أو لومنا على عدم القيام بها، لكن الفاعل الذي يفعل مثل هذا الشيء قد يشعر أنه يجب أن يفعله، ولا بديل عنه بالنسبة له، مع الاعتراف في نفس الوقت بأنه لن يكون مطلبًا على الآخرين، قد يأتي الفكر في شكل مطلب عليه دون الآخرين؛ لأنه يختلف عن الآخرين؛ لكن الاختلاف سيتحول عادة إلى حقيقة أنه شخص لديه هذه الاقتناع بالذات في الواقع قد تكون مشاعره وتوقعاته من المشاعر التى سيشعر بها إذا لم يتصرف، مثل تلك المرتبطة بالالتزامات .(Williams, 1985, p. 188)

يعتقد كانط أن الضرورة العملية غير مشروطة بمعنى أنها لا تعتمد على الرغبة على الإطلاق، أما ويليامز يقول: " لايجب أن تكون الضرورة العملية مستقلة عن الرغبة، لقد ميزت "الضرورة" غير مشروطة عن تلك التى تكون مشروطة برغبة يصادف أن يمتلكها الفاعل ؛ لكن استنتاج الضرورة العملية يمكن أن يكون في حد ذاته تعبيرًا عن الرغبة ، إذا لم تكن الرغبة مجرد رغبة لدى الفاعل فحسب، بل كانت ضرورية للفاعل ويجب إشباعها.

الفرق بين هذا المفهوم للضرورة العملية ومفهوم كانط ليس بالطبع مجرد مسألة تعريف أو تحليل منطقي، إن فكرة كانط عن الضرورة العملية هي في الأساس الفكرة الأكثر شيوعًا، لأن الضرورة العملية

تكون غير مشروطة مطلقًا بأي رغبة، وذلك بسبب صورتها عن الذات العقلانية على أنها خالية من السببية، ولأن هناك أسبابًا للفعل الذي يعتمد فقط على الفاعلية العقلانية، وليس على أي شيء (مثل الرغبة) التي قد لا يكون لدى الوكيل. (Williams, 1985, p. 189).

مما سبق فإن حرب ويليامز على الأخلاق الكانطية تتنوع على نطاقٍ واسعٍ، مع وجود اختلاف فى وجهات النظرعلى عدد من الجبهات: المشاريع الأساسية، والنزاهة، والعواطف، والدوافع الأخلاقية، والعلاقات الشخصية، من ناحية أخرى قد يبدو الخلاف أو النزاع أضيق بقدر ما تعتمد كل هذه الهجمات على مايبدو على استراتيجية مماثلة تستخدم طريقة مماثلة في الادعاء بأن حركة كانط المميزة في الحياد بغض النظر عن كيفية تحقيقه بالضبط، يحمل عواقب تقوض خطورتها المعقولية، حيث يتطلب إفساح المجال للنزاهة والعواطف في المشروع الأخلاقي للفرد؛ إذن عدم التدخل في الأمر القاطع الذي يرى ويليامز أن كانط يضعه بين نفسه كعامل أخلاقي ومشاريع المرء والتزاماته، مثل هذه الخطوة تنتقل بالأخلاق من عالم العقلانية المجردة إلى عالم الحياة الملموسة. (Jenkins, 2006, pp. 67-68).

مجمل القول أن كانط ربط بين الضرورة العملية والأخلاق والالتزام الأخلاقى، أما ويليامز يرى أن الضرورة العملية مرتبطة في كل الأحوال بالأخلاق، لكنه يرفض ربطها بالالتزام الأخلاقي ، كما أن كانط يرى أن الضرورة العملية يجب أن تكون غير مشروطة وغير مرتبطة بأي رغبة أو شعور، أما ويليامز يرى أن الضرورة العملية يجب أن تكون مشروطة بالرغبة والعاطفة.

مجمل القول إن ويليامز متشككًا فيما آلت إليه الأخلاق الكانطية، وأشار إلى تطورات حديثة في البيولوجيا التطورية وعلم النفس، محاولًا وضع آمال جديدة تدعم بعض المفاهيم الأخلاقية، وأن تستمد قوتها من الطبيعة البشرية، كما تعبر عنها تصرفات البشر وسلوكياتهم، كما يجب أن تخضع الاعتبارات الأخلاقية والطبيعة البشرية لجميع أنواع التكيف الاجتماعى والتاريخى...كما أن الدعم النهائي للقيمة الأخلاقية التي حاول ويليامز أن يركز عليها هى الرغبة والعاطفة فى الحياة الأخلاقية، وبالتالى وفقاً لويليامز فإن تصرفاتنا الأخلاقية تقوم على مواقفنا ومشاعرنا التى تشكل الدعم النهائى للقيمة الأخلاقية .(.(Williams,1985, p.211

الخاتمة:

عرضت الباحثة في هذه الدراسة للجانب النقدى في فلسفة ويليامز الأخلاقية، واقتصرت على نقد المذهب النفعي باعتباره نقطة البدء التى بدأ من خلالها ويليامز حملته الشعواء على الفلسفات السابقة عليه والمعاصرة له، ثم تناولت أيضًا نقد المذهب الأخلاقي الكانطي، وقد أسفرت تلك الدراسة على العديد من النتائج أهمها ما يلي:.

-استخدم ويليامز العديد من المصطلحات الخاصة به، وكان على رأس هذه المصطلحات مصطلح العواقبية الذي أطلقه على النفعية وعرفها بأنها المبدأ القائل بأن القيمة الأخلاقية لأي فعل تكمن في نتائجه، كما أنها تعتبر من أكثر النظريات الأخلاقية الموجودة طموحًا.

- بالرغم من سيطرة المذهب النفعي في الأوساط الفلسفية من قديم الأزل حتى وقتنا المعاصر، لكنه لم يفلت من زمام نقد ويليامز له، والذي عُرف بعدائه الشديد للنفعية، حتى وصلت النفعية إلى نقطة الانهيار على يديه.

- قام ويليامز بعرض أفكاره في نقده للنفعية في أكثر من مقال، أهمهما مقال "نقد النفعية" الذى عرض فيه بعض أسباب هذا النقد، ومنها المسئولية السلبية، وافتقار النفعية لقيمة النزاهة، والإفراط في الاهتمام

بالجانب اللا-شخصي، وإجبار الأفراد على التضحية بأنفسهم في سبيل مصلحة الكل، ومن ثم التضحية بمشروعاتهم ورغباتهم الشخصية في سبيل ذلك؛ مما يشعرهم بالاغتراب، واعتبار أنفسهم مجرد آلة تحركها النفعية متى شاءت وكيف شاءت .

- **من خلال نقد ويليامز للمذهب النفعي، حاول التأكيد على بعض الأفكار، هي:**

- في نقده لعوامل جذب النفعية كنظرية أخلاقية، ينتقد ويليامز النفعية؛ لأنها لا تؤسس على أي اعتبار ديني أو ميتافيزيقي، لكن جعلت شغلها الشاغل الأمور الدنيوية البحتة، كما أنها تخضع كل القيم للقياس الكمي التجريبى.

- ضرورة الاهتمام بالمشروعات الشخصية للأفراد؛ لأنها شرط وجود الأفراد، وبالتالي إذا لم يتم دفع الأفراد إلى الأمام من خلال مجموعة من الرغبات والطموح فلماذا تستمر حياتهم؟!

- يرفض ويليامز تحمل الأشخاص مسئولية أمورٍ أُجبروا على تنفيذها، وأصبحوا مسئولين عنها مسئولية مباشرة بحجة الصالح العام، وظهر ذلك فى حديثه عن (المسئولية السلبية).

-تأكيد ويليامز على ضرورة عدم تخلي الأفراد عن مبادئهم ونزاهتهم لتحقيق مصلحة المجموع، بالإضافة إلى تأكيده على أهمية دور الرغبة، ومشاعر الأفراد، وعدم التخلى عنها ،واعتبارها غير عقلانية ومزيفة؛ لأن ذلك يشعرهم بالاغتراب وفقد الهوية.

- ترى الباحثة أن ويليامز كان محقًا في نقده للنفعية في عوامل جذب النفعية كنظرية أخلاقية؛ وذلك لأن هناك بعض القيم التى لا تخضع للقياس التجريبي الكمي، فهناك بعض القيم التى تعتبر غاية فى ذاتها، بصرف النظر عن أي نتائج كمية، ولذلك لا يجب أن نأخذ كل شيء فى الحياة بمعيار تحقيق السعادة للذات؛ لأن ذلك يولد نوعًا من الأنانية والحقد بين الناس، وكذلك لا يجب أن نُخضع كل شيىء لمعيار تحقيق أكبر قدر من السعادة للآخرين؛ لأن ذلك يؤدي إلى التضحية من أجل الآخرين على حساب النفس وطموحاتها، فهذا نوع من الإيثار المفرط، ولذلك لابد من الوسطية والاعتدال حتى تتزن الأمور.

- بالرغم من إن نقد ويليامز للنفعية وتفوقه في ذلك ؛لأنه قدَّم نقدًا جديدًا للنفعية غير تقليدىّ لم يكن معهودًا من قِبَل واعتمد في ذلك على بعض الافتراضات والأمثلة لسهوله توصيل أفكاره، لكن ذلك لم يمنع الباحثة من توجيه سهام النقد لويليامز نفسه، لأنه أسرف في النقد ولم يقدم البديل عنه بصورةٍ قويةٍ ومتماسكةٍ فى صورة مذهب أخلاقى، أو نظرية أخلاقية متماسكة كما فعل بارفت، وجون رولز، وغيرهم من الفلاسفة.

- بالرغم من انتقاد ويليامز النفعية بوجهٍ عام والنفعية المباشرة وغير المباشرة، ودعوته بعدم الإيمان بها، لأنها تحقق الرغبة السطحية فقط وغير المنطقية، وبها العديد من العيوب التى تم ذكرها سابقًا، والتى انتهى فيها إلى دعوته بعدم الإيمان بالنفعية في كل الحالات، لكن هذا لا يعني أن هذا النقد صحيحًا فى كل جوانبه، وذلك لأنه لا يوجد مذهب فلسفي كله عيوب، ففى حالة ما قاله ويليامزصحيحًا فإن هذا المذهب قد كُتب له الهلاك، وانتهى من قديم الأزل ولم يظل ثابتًا بجذوره في الفلسفة وفي الحياة العادية، ولم يصبح لغة العصر الذى نعيش فيه حتى الآن.

- على الرغم من تمتع كانط بمكانة كبيرة على الساحة الفلسفية بصفة عامة وفي ألمانيا بصفة خاصة، وله مذهب فلسفي مثالي خاص به يطلق عليه المثالية الذاتية(النقدية)...إلخ. لكن ذلك لم يمنع ويليامز من توجيه سهام نقده له أيضًا كما فعل مع النفعية.

-لقد رأى ويليامز أن مذهب كانط الأخلاقي ينطوي على العديد من أوجه القصور من أهمها:

1-أن الأخلاق الكانطية تقلل من قيمة العواطف، وترى أن أي فعل تحكمه العواطف مرفوض ولا يمكن أن يسهم في تقييمنا الأخلاقي؛ لأن الأخلاق متقلبة للغاية، وغير عقلانية.

2- وهنا تتفق الأخلاق الكانطية مع النفعية-فيما يرى ويليامز- فى أنها لم تهتم بالمشروعات الأساسية، ولا بالعلاقات الشخصية للأفراد؛ مما يتسبب في الاغتراب عن هويتنا وفقد نزاهتنا، فكل ما تهتم به هو الاهتمام بمبادئ النظرية فقط، والإعلاء من شأن الفاعل العقلاني.

3- ربط كانط الضرورة العملية بالإلزام، كما أنه جعلها مستقلة عن الرغبة، وهو ما يرفضه ويليامز؛ لأن الضرورة العملية غير مرتبطة بالإلزام، وينبغى أن تكون مرتبطة بالرغبة والشعور.

4-يرفض ويليامز تأكيد كانط على ضرورة الإلزام وجعله المحور الأساسي للأخلاق، وذلك لأنه أحيانًا كثيرة نضطر إلى مخالفة هذا الإلزام.

-على الرغم من أن فلسفة كانط الأخلاقية تعرضت لنقدٍ شديدٍ من قِبَل الفيلسوف الإنجليزي ويليامز وتنوعت هذه الانتقادات على نحوٍ واسعٍ بسبب صورية مبدأ الواجب وصرامته وأيضًا افتقارها لقيمة النزاهة والمشروعية وإغفالها دور العواطف؛ بسبب اعتمادها على العقل وقد شاركه فى ذلك فلاسفة آخرون مثل شوبنهوروشيللر وغيرهم؛ لأن كانط أراد بذلك أن يخلع على الأخلاق صبغة أمرية مطلقة.

- لكن هذا لا يعنى أن فلسفة كانط الأخلاقية لا تنطوي على أي إيجابيات، ولذلك فإن ما تأخذه الباحثة على ويليامز أنه أسرف في نقد الأخلاق الكانطية؛ وذلك لأنه لا يوجد مذهب أخلاقي خاطىء برمته، وبالتالي فإن الأخلاق الكانطية تنطوي على إيجابيات، لأنها تعطي غاية سامية للحياة الإنسانية، وهى العمل فى قوله أعمل دائمًا بحيث تعامل الإنسانية في شخصك، وفي أشخاص الآخرين ، كغاية لا كوسيلة فقط، كما أنه حث على مبدأ الحرية؛ لأنه يرفع من قيمة الإنسان، كما أن لها الفضل في لفتت الانتباه إلى فكرة الواجب في الفلسفة الخلقية، كما أنها أبرزت أهمية "الإرادة الخيرة" والقانون الأخلاقي، وكشفت عن الطابع الحقيقي للإلزام الخلقي والعقل العملي.

- ترى الباحثة أن إصرار ويليامزعلى الإشادة بدور العواطف وجعل الأولوية لها على العقل، والاهتمام بالمشروعات الشخصية للأفراد فيه نزعة نفعية غير واضحة، حاول ويليامز تجنبها دائما في حديثه.

- كان على ويليامز تقديم نظرية كاملة الأركان كبديل عن نقده للنفعية والكانطية.

وختامًا نقول أن النقد أساسى لكل فلسفة، وبالتالى فإن اتجاه ويليامز النقدى للفلسفة الأخلاقية السائدة فى عصره ممثلة فى النفعية، الكانطية لاغبار عليه، بشرط أن يبرز النقد الإيجابيات والسلبيات فى كل فلسفة، لا أن يكون نقدًا هدامًا لا فائدة منه...

قائمة المصادر والمراجع

أولاً: المصادر الأجنبية

Smart, J.J.C & Williams, Bernard, (1973) ***Utilitarianism for and against***, press, Cambridge university.

Williams, Bernard, (1972) ***Morality an introduction to Ethics***, Press, USA, Cambridge university.

Williams, Bernard, (1981) ***Moral Luck, (philosophical papers 1973-1980),*** press, Cambridge University.

Williams, Bernard, (1981), ***persons, character and morality***, in moral luck, press, Cambridge University.

Williams, Bernard, (1981), ***Utilitarianism and moral self- indulgence***, in moral luck, press, Cambridge University.

Williams, Bernard, (1985), ***Ethics and the limits of philosophy***, editor frank Kermode, press, fontanta.

ثانياً: المراجع العربية

إبراهيم، زكريا،(1969)، ***المشكلة الخلقية***، ط1، الفجالة، مكتبة مصر، دار مصر للطباعة.

الطويل، توفيق، (1953)، ***مذهب المنفعة العامة فى فلسفة الأخلاق***،ط1،القاهرة، مكتبة النهضة المصرية.

الطويل، توفيق،(1967)، ***الفلسفة الخلقية نشأتها وتطورها***، ط2، القاهرة، دار النهضة العربية.

بدوى، عبدالرحمن، (1979)، ***الأخلاق عند كانط***، الكويت، وكالة المطبوعات.

حباتر، سعدعبدالعزيز، (1996)، ***الفلسفة الخلقية مباحثها ومشكلاتها***، دار المهندس، 1996.

روس، جاكلين، (2001)، ***الفكر الأخلاقى المعاصر***، ط1، ترجمة (عادل العوا)، بيروت، لبنان، عويدات للنشر والطباعة.

رولز، جون، (2011)، ***نظرية العدالة***، ترجمة (ليلى الطويل)، دمشق، سوريا، الهيئة العامة السورية للكتاب.

سليمان،هشام صالح، (2016) ***النفعية الحدسية عند هنرى سيدجويك***، المؤتمر السنوى الدولى الثانى(كيف نقرأ الفلسفة)، المجلد الثانى، نوفمبر، كلية الآداب، جامعة الأسكندرية.

عبدالرحمن، سامية، (1992)، ***القيم الأخلاقية فى الفكر الإسلامى والفكر الغربى- دراسة مقارنة***، مكتبة النهضة المصرية.

-عبدالرحمن، سامية ، (2008) ***دراسات فى الفلسفة المعاصرة***، دار كيلوباترا للطباعة والنشر.

عبدالرحمن، سامية ،(2002) ***الأخلاق الاجتماعية عند ليسلى ستيفن***، دار البيان.

عبده، مصطفى،(1999)، ***فلسفة الأخلاق***، ط2، القاهرة، مكتبة مدبولى.

كانط، إيمانويل، (2017)، **تأسيس ميتافيزيقا الأخلاق**، ترجمة (عبد الغفار مكاوى)، مراجعة (عبد الرحمن بدوى)، مؤسسة هنداوى.

ميتس، رودلف، (1963) الفلسفة الإنجليزية فى مائة عام، الجزء الأول، ترجمة (فؤاد زكريا)، مراجعة، (زكى نجيب محمود)، القاهرة، مطبعة الرسالة.

مدين، محمد محمد،(2008)، ***فلسفة هيوم الأخلاقية***، إشراف (عبد الحليم عطية)، بيروت، لبنان، دار التنوير.

مل، جون ستيورات،(1996)، ***أسس الليبرالية السياسية***، ترجمة (إمام عبد الفتاح ومشيل متياس)، القاهرة، مكتبة مدبولى.

مل، جون ستيورات ، (2012) ***النفعية***، ترجمة (سعاد شاهرلى حرار)، مراجعة هيثم غالب الناهى، بيروت، المنظمة العربية للترجمة.

مبروك، أمل،(2011) ***الفلسفة الحديثة***، بيروت، لبنان، التنوير للطباعة والنشر والتوزيع.

ثالثاً: المراجع الأجنبية

David, Shoemaker, (2019)**,** ***Personal Identity and Ethics***, The Stanford Encyclopedia of Philosophy, 1 Zalta (ed), Edition, Edward N.

Green, T, H**,** (1906) ***Prolegomena to Ethics***, 5edition, Edited by A. C. Bradley, with a preface, press, Oxford, at the clarendon.

Herman, Barbara**,** (1993) ***The Practical of Moral Judgment***, press, Harvard University.

Jenkins, Mark P, (2006), ***Bernard Williams Philosophy Now***, Lewins Yard.

Parfit, Derek, (1984), Reasons and persons, what make some one life go best, press, oxford university, clarenden,1984

Parfit, Derek, (2007)***, The History of Western Ethics from Beginning of the 20 Century,*** Normative Ethics, Oxford University press.

Thomas, Alan, (2007), ***Bernard Williams,*** press, Cambridge university.

Susan Wolf, Susan, (1982), ***Moral Saints***, Vol. 79, No. 8, (Aug), The Journal of Philosophy.

رابعاً: الرسائل العلمية

عبد الرحمن، سامية، (1986) ***النفعية بين جون ستيورات مل ووليم جيمس***،(رسالة دكتوراه غير منشورة)، كلية البنات، جامعة عين شمس.

خامساً: الموسوعات الأجنبية

Borchert, Donald .M, (2006), ***Encyclopedia of philosophy***, 2nd edition, Volume9, Editor in Chief, U.S.A, Thomson Gale.